مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
العدد الحادي عشر
محرم ١٤١٥هـ

أشهر علماء تمبكت وجنّي وغاوُ وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية

د. أبوبكر اسماعيل محمد ميقا
أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك بجامعة الملك سعود
كلية التربية قسم الثقافة الإسلامية
الرياض

أشهر علماء تمبكت وجَنِّي وغَاوُ وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية

يضم هذا البحث الموضوعات التالية :

١ ـ ترجمة مختصرة لأشهر علماء تمبكت الذين قاموا بدور بارز في ازدهار الثقافة الإسلامية والحركة العلمية في أفريقية الغربية كلها من أسرة أقيت .

٢ ـ أشهر العلماء الذين ساهموا في ازدهار الثقافة الإسلامية في جامعات تمبكت ومدارسها من غير أسرة أقيت .

٣ ـ أهم النتائج التي نستنتجها من تراجم هؤلاء الأعلام حول تطور الحركة العلمية والثقافية في السودان الغربي في عهد دولتي مالي وسنغاي .

٤ ـ الحركة الثقافية والفكرية في مدينة جَنِّي من القرن السادس حتى القرن الحادى عشر الهجريين .

٥ ـ تاريخ الحكم في مدينة جَنِّي وحركة العلم والثقافة فيها تحت ظل الحكومات التي مرت عليها .

٦ ـ الثقافة الإسلامية في جَنِّي وفقهاؤها .

٧ ـ أشهر العلماء والفقهاء في مدينة جَنِّي الذين أثْروا الحياة العلمية والثقافية في المنطقة وظهر أثرهم بارزا في ازدهار الثقافة الإسلامية في جَنِّي .

٨ ـ الكتب الدراسية في جامعات ومعاهد الثقافة الإسلامية في كل من تمبكت، وغاوُ

وجَنّي وغيرها من مدن السودان الغربي في عهد ازدهار العلم والإسلام في الدولتين الإسلاميتين مالي وسنغاي .

٩ ـ استيلاء جيش ملك مراكش أحمد المنصور السعدي المقلب بالذهبي على مملكة سنغاي وأثر ذلك على الثقافة الإسلامية ومعاهدها وحركة العلم والعلماء في السودان الغربي كله .

١٠ ـ نتائج غزو المغاربة أمبراطورية سنغاى الإسلامية والقضاء عليها بشكل نهائي من الناحية الثقافية والعلمية ، . ومن الناحية الدينية ، ومن الناحية الاقتصادية والسياسية .

عندما قام سلاطين سنغاي من آل أسكيا برعاية الحركة العلمية والثقافية وشجعوها واحترموا العلماء والفقهاء وشجعوهم على البذل والعطاء وبنوا المدارس والمعاهد والجامعات بتمبكت برز كثير من رجالات العلم في مختلف الفنون العلمية في مدينة تمبكت من أهل السودان وممن توافد إليها من علماء الشمال والمغرب ومصر والحجاز[١] .

أشهر علماء هذه المدينة : الفقيه الحاج :

أول من أورد السعدي ذكره من علماء مدينة تمبكت هو الفقيه الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج ، وكان من علماء جامعة سنكري ، تولى القضاء بتمبكت في أواخر دولة مالي ، وهو أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن للتعليم في مسجد جامع سنكري بعد صلاة العصر ، وبعد صلاة العشاء . وهو من العلماء الذين هاجروا أو استقدموا في عهد مملكة مالي الإسلامية إلى تمبكت للمشاركة في النهضة الثقافية التي ازدهرت في ذلك الوقت والتدريس في جامعة سنكرى وكان مقدمه من (بير) مع أخيه السيد الفقيه إبراهيم وآثر إبراهيم أن يسكن بلدة بنك إلى أن توفي فيها ، وله مواقف في صد قبائل الموشى الوثنية عن هذه البلدة[٢] ، ومن نسل

(١) تقدم ذكر أسماء بعضهم في بحث أخر عنوانه «الثقافة الإسلامية في السودان من القرن ٤ حتى القرن ١٠هـ .

(٢) أنظر تاريخ السودان الباب التاسع ص ٢٧ في ذكر علماء تنبكت وبلدة بنك قريبة من تمبكت في جنوبها وقبائل الموشى مساكنها جنوب تمبكت . وهي جمهورية بوركينا فاسو الحالية .

هذا الفقيه العالم علماء آخرون تولوا مناصب القضاء والتعليم من قبل الحاج أسكيا محمد في مناطق أخرى من مدة السودان غير تمبكت مثل ناحية بندبغ[1] .

ولم يذكـر السعـدى مايشير إلى أن هذا الفقيه من أسرة أقيت المشهورة بالرئاسة العلمية في السودان كله. وإنما أشار إلى بعض الأمور التي سببت الجفاء المؤقت بين أسرة الحاج جد القاضي عبد الرحمن الذين كانوا قضاة في بعض الأقاليم في مملكة سنغاي، وبين الفقيه محمود بن عمر أقيت[2] .

ولعل هذا هو السبب في عدم انضمام هؤلاء إلى أسرة أقيت. وأفراد أسرة أقيت يضاف إلى اسمهم «أقيت» أو «أندغمحمد»[3]. ونلاحظ من كتب أحمد بابا وتاريخ السعدي وتاريخ الفتاش: أن الأسماء التي ورد فيها اسم «أندغمحمد» لم ترد فيها كلمة أقيت على الرغم من أن الأسرة واحدة. وتفسير ذلك ماذكره السعدي[4] من أن أسرة أقيت تنقسم إلى فرعين: فرع من جهة الأمهات، وفرع من جهة الآباء.
وفـرع (أندغمحمد) من جهة الأمهات، وقال عند حديثه عن الفقيه أبي عبد الله أندغمحمد ـ كما سيأتي ـ ومنه تنسل كثير من شيوخ العلم والصلاح، منهم من جهة الآباء ومنهم من جهة الأمهات، ومنهم من جهتهما معا[5].

العلماء الذين انحدروا من نسل العلامة الفقيه محمد أقيت بن عمر بن وعلي بن يحيى بن كدالة بن بكى بن نيق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفر بن جبراى بن أكنبر ابن أنص بن أبي بكـر بن عمـر المنهاجي الماسني[6] يعتبرون من أعظم العلماء الـذين

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨ .

(٢) تاريخ السودان ص ٢٨ . للسعدي .

(٣) لفظ (أندغمحمد) من الألفاظ الدالة على التعظيم والتبجيل عند أهل غرب افريقيا في ذلك الوقت. أنظر تاريخ التعليم الإسلامي في معاهد غرب افريقيا ص ١٩٤ لمهدي رزق الله محمد مخطوط ونقل هذا عن نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر لابن الطيب أبي عبد الله محمد ص١٦٨ .

(٤) تاريخ السودان ص ٢٨ .

(٥) نفس المرجع السابق .

(٦) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص ٣١ لمحمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي ١١٤٠ ـ ١٢١٩هـ وتاريخ السودان ص ٣٥-٣٦ .

لهم أثر بارز في الحياة العلمية والثقافية في معاهد تمبكت وجامعاتها ويمثلون العنصر الغالب في الحركة الفكرية والثقافة في السودان الغربي كله. فلذا سينصب الاهتمام على ترجمة أبرز العلماء منهم وأكثرهم تأثيرا في المجتمع السوداني. وأبدأ بجدهم بعد أن عرفنا أنهم يتفرعون إلى فرعين، فرع أقيت وفرع أندغمحمد .

محمـــد أقيـت :

هاجر محمد أقيت هذا، جد أسرة أقيت من موطنه الأصل: بلاد ماسنة إلى بلدة (بير) ويذكر السعدي أنه سمع من حفيد جد هذه الأسرة: الشيخ أحمد بابا التنبكتي يروى سبب هجرته من بلده ماسنة إلى (بير) (هو بغض محمد أقيت الفلانيين الذين كانوا يجاورونه في السكن فلم يشأ لأبنائه أن يتناسلوا معهم. وقال عنه : إنه على يقين من عدم مناكحته معهم، ولكن يخاف ذلك على أولاده، فقرر الرحيل لئلا يتناسلوا معهم)[1] .

وبعد هجرته إلى بير رغب في أن يسكن تمبكت ولكن واجهته مشكلة خلافية قديمة مع حاكمها آكل ـ الذي استولى عليها واستقل بها عن مملكة مالي المفككة الأوصال في آخر أيامها. ولكن جرت وساطة نجحت في التوفيق بينهما فدخل مدينة تمبكت بعد ذلك وكان ذلك في منتصف القرن التاسع الهجرى([2]وأشهر علماء الثقافة الإسلامية واللغة العربية الذين انحدروا من هذه الأسرة العريقة في العلم وأثروا الحركة العلمية والثقافة الإسلامية في تمبكت ومدن غرب افريقيا هم :

١ ـ الفقيه أبو عبد الله أندغمحمد :

ابن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح، ووصفه السعدي وصاحب فتح الشكور بأنه معدن العلم والفضل والصلاح، ومنه تنسل كثير من شيوخ العلم والصلاح، وهو

---

(١) تاريخ السودان ص ٣٥ـ٣٦ وتاريخ التعليم الإسلامي في معاهد غربي افريقيا ص ١٩٦/١٩٧ . لمهدي رزق الله محمد .

(٢) تاريخ السودان ص ٣٦ وفتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، ص ١١٢ ـ الطبعة الأولى للبرتلي الولاتي .

جد جد أحمد بابا لأمه، وكان فقيها تولى القضاء بتمبكت في أواسط القرن التاسع الهجري. وحكى السعدى عن أحمد بابا أنه أول من خدم العلم من أجداده(1).

وكان أندغمحمد من شيوخ جامع سنكري وعلمائه الذين قاموا بدور بارز في جامعة تمبكت التي تمثل إحدى المنارات للتقدم الفكري والثقافي في العالم. وأهم مركز تعليمي في وسط وغرب أفريقيا إبان ازدهار الأمبراطورتين الإسلاميتين مالي وسنغاى. ولم يذكر السعدى والولاتي صاحب فتح الشكور تاريخ وفاة هذا العالم ولامولده.

٢ ـ عمر بن أحمد :

وهو والد جد الشيخ أحمد بابا التنبكتي. وكان عالما صالحا تتلمذ على الفقيه القاضي مودب محمد الكابري، وكان حيا حول بداية الثلث الثاني من القرن التاسع الهجري ـ والخامس عشر الميلادي، لأن شيخه الفقيه مودب الكابرى أدرك علماء من تمبكت في أواخر دولة مالي الإسلامية(2). وكان الشيخ عمر بن أحمد هذا من فقهاء وعلماء جامعة سنكرى الذين قاموا بإثراء الثقافة الإسلامية واللغة العربية في المنطقة كلها لافي تمبكت وحدها.

٣ ـ المختار النحوي :

هو المختار بن عمر بن أحمد السالف الذكر، لقب بالنحوي لتضلعه في هذا الفن، وكان عالما بكل فن من فنون العلم، عاصر هو وأبوه الفقيه يحيى التادلسي، وتوفي في أواخر العام الثاني والعشرين بعد تسعمائة(3). حوالي سنة ١٥١٦م وكان من شيوخ جامعة سنكرى وعلمائها الذين ساهموا في بناء قواعد النهضة الثقافية وازدهارها في غرب أفريقيا بصفة عامة وفي تمبكت بصفة خاصة.

٤ ـ عبد الرحمن بن عمر :

هو الفقيه العالم عبد الرحمن بن عمر بن أحمد أخو الفقيه المختار النحوي. كان من

(١) المرجعين السابقين تاريخ السودان وفتح الشكور في المكان نفسه.

(٢) أنظر تاريخ السودان ٢٨ وكفاية المحتاج لاحمد بابا مخطوط ٢٧.

(٣) تاريخ السودان ص ٢٨-٢٩ وفتح الشكور ص١١٣.

الفقهـاء المتخصصـين في تدريس كتـاب التهذيب للبرادعي، وقد وصفه السعدي بالتقوى والحلم[1] .

٥ ـ أحمد بريء بن أحمد بن أندغمحمد أبو العباس :

وكان من العلماء الأتقياء المترفعين عن أغراض الدنيا المتوضعين لله وكان من شيوخ سنكـرى وتخـرج على يديه جماعـة كثـيرة من شيوخ العلم من المتـأخرين من أهل سنكرى[2]، وهو من الشيوخ اللامعين في العلم في عهد ازدهار الثقافة الإسلامية في إمبراطورية سنغاي .

٦ ـ أبو عبد الله بن المختار النحوي :

هو أبو عبد الله أندغمحمد بن الفقيه المختار النحوي بن أنذغمحمد حفيد عمر ابن أحمد والد جد أحمد بابا تقلد منصب إمام مسجد سنكرى وهو منصب علمي عظيم في ذلـك الوقت تسلمه من شيخ الإسلام أبي البركات الفقيه القاضي محمود عندما كبر سنه وعجزه عن القيام بمهام المنصب. وقد وصـف السعدي أبا عبد الله ابن المختار بأنه عالم تقي ورع متواضع واثق بالله، وله صيت في العلم بعلوم اللغة العربية.

وهو ممن تخصصوا في تدريس كتاب الشفاء للقاضي عياض وسرده في شهر رمضان المبارك بمسجد سنكرى. وكان مادحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم[3] .

٧ ـ أبو عبد الله محمد :

هو الفقيه أبـو عبد الله محمد بن الإمام أندغمحمد بن الفقيه المختار النحوى

---

(١) تاريخ السودان ص ٢٩ .

(٢) السعدي ص ٢٩ ، وفتح الشكور ص ٢٨ ، ولم يذكر السعدي تاريخ وفاته، وقال صاحب فتح الشكور: (لم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله) .

(٣) تاريخ السودان ص ٢٩ ولم يذكر السعدي تاريخ وفاته. وأنظر أيضا فتح الشكور ص ١٠٧ وذكر الولاتي أنه لم يقف على تاريخ وفاته .

السالف ذكره وكان مثل والده مدرسا كتاب الشفاء في رمضان بعد موت أبيه في مسجد سكنري وظل مدرسا في جامع سنكري حتى وافته المنية. ولم يذكر السعدي تاريخ وفاته[١] .

٨ ـ الفقيه المختار بن محمد:

هو الفقيه المختار بن محمد بن الفقيه المختار النحوي بن أندغمحمد، كان مثل أسلافه في القيام بالتدريس ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر السعدي أنه كان مبالغا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة بعد حجه وزيارته للمدينة المنورة[٢]. وهو الذي حمل رسالة تحية ودعاء بعد حجه من الشيخ السيد محمد البكري العالم المصري المتوفي سنة ١٥٨٧م إلى أسكيا نوح بن أسكيا داود ويدعو له فيها بالإعزاز والإكرام والدعاء له بخيري الدنيا والآخرة[٣] .

٩ ـ أحمد بن أندغمحمد :

وهو أبو العباس الفقيه أحمد بن أندغمحمد بن محمود بن الفقيه أندغمحمد الكبير وصفه السعدي بالذكي الفطن العالم بفنون العلم من الفقه والنحو والأشعار وغير ذلك[٤]. وهو من الذين ظهر لهم أثر بارز في ازدهار الثقافة الإسلامية العربية إلى أبعد الحدود في طول البلاد وعرضها في أيام ازدهار دولة سنغاي الإسلامية[٥] .

١٠ ـ عبد الله بن الفقيه أحمد برى :

هو أبو محمد عبد الله بن الفقيه أحمد برى بن أحمد بن الفقيه أندغمحمد الكبير، وهو من ذريته من جهة الأب والأم لأن أمه أخت الفقيه أبي العباس أحمد ابن أندغمحمد. كان مفتياً شرعياً في زمانه، نحوياً لغوياً متواضعاً وأشتهر في زمانه

(١) تاريخ السودان ص ٢٩ .

(٢) تاريخ السودان ص ٢٩ وفتح الشكور ص ١٠٧ وتاريخ الفتاش ص ١٦٧-١٦٨ .

(٣) أنظر تاريخ الفتاش ص ١٦٧ ـ ١٦٨ . وتاريخ التعليم الإسلامي في معاهد غرب افريقيا ص ١٩٩ .

(٤) تاريخ السودان ص ٣٠ .

(٥) تاريخ الفتاش ص ١٧٨ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠ .

بمعرفة علوم القرآن، وتوثيق الأسانيد. ومن أسباطه شيوخ الإسلام الثلاثة والأئمة الأعـلام : الفقيه عبـد الله، والفقيه الحاج أحمد، والفقيه محمود أبناء الفقيه عمر ابن محمد أقيت[1] .

١١ ـ الفقية عبد الله بن عمر :

المولود سنة ٨٨٦ والمتوفي سنة ٩٢٩هـ[2] . هو الفقيه عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي المسوفي شقيق جد أحمد بابا (أحمد بن عمر) وصفه أحمد بابا : (بالحافظ الزاهد الورع والتقي)، وكان من الفقهاء الحفاظ الذين قاموا بالتدريس في تمبكت ونشروا الثقافة الإسلامية في ربوعها. ولم يكتف بالتدريس في تمبكت وحدها، بل درس أيضا بوالاتا. وتوفي بها. ومن تحريه أنه كان له خادم يبيع اللبن ويجمع ثمنه فباعه مرة بعد المغرب ثم أطلعه على ذلك بعد أن خلط الخادم ثمنه مع غيره من ماله فتصدق بالجميع لأجل تعاطيه البيع بالليل. وكان مالا له بال)[3] .

١٢ ـ أحمد بن عمر المتوفي سنة ٩٤٢هـ[4] .

هو أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري التنبكتي ـ جد أحمد بابا ـ وعرف بالحاج أحمد، أكبر الأخوة الثلاثة المعروفين في قطرهم بالعلم والدين. ووصفه أحمد بابا : (بأنه كان خيرا فاضلا صالحا متورعا محافظا على السنة والمروءة والصيانة والتحري محبا في النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه وملازما لقراءة الشفـاء للقاضي عياض معتنيا به، فقيها نحويا لغويا عروضيا محصلا بارعا حافظا معتنيا بتحصيل العلم ونسـخ كتبه، كتب بخطه عدة دواوين كثيرة وجمع كثيرا من الفـوائـد والتعـاليق، أخـذ العلم عن جده لأمـه (وكـان قاضي تمبكت وعلى أهل

---

(١) تاريخ السودان ص ٣٠ .

(٢) أنظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص ١٦١ . لأحمد بابا. مطبوع على هامش الديباج المذهب لابن فرحون ط الأولى .

(٣) نيل الابتهاج ص ١٦١ . أى مال كثير له شأن .

(٤) نيل الابتهاج ص ٨٨ ـ ٨٩ وتاريخ السودان ص ٣٧ .

ولاتن)[1]. أخذ النحو عن خاله الفقيه مختار. ثم ارتحل إلى المشرق فحج عام ٨٩٠هـ ولقي السيوطي وخالد والوقاد الأزهري أمام النحاة وشارح التوضيح وغيرهما ثم رجع إلى بلاده في زمن سني على ملك سنغاى. وزار بلاد كنو وغيرها من بلاد السودان. وجلس للتعليم ودرس العلم فأخذ عنه جماعة منهم أخوه الفقيه القاضي محمود بن عمر قرأ عليه المدونة وغيرها ولم يزل دؤوباً مجتهداً في تعليم العلم وتحصيله حتى توفي ليلة الجمعة من ربيع الثاني عام ٩٤٢هـ عن نحو ثمانين سنة، وطلب للإمامة فامتنع فضلا عن غيرها وترك أولادا نجباء)[2].

١٣ ـ أحمد بن أحمد بن عمر ٩٢٩ ـ ٩٩١هـ[3].

تقدم له ترجمة في العلماء الذين رحلوا في طلب العلم إلى المشرق الإسلامي ثم عادوا إلى أوطانهم وجلسوا للتدريس في جوامع تمبكت وغيرها من مدن السودان، إلا أنه نظرا لقوة تأثيره في الحركة العلمية والثقافية التي ازدهرت في تمبكت وسائر بلاد السودان في ذلك الزمان، ولبروز أثره وبقاء آثاره العلمية، لذا رأيت إعادة ترجمته في الذين ساهموا في الحركة الثقافية والنهضة العلمية التي تمت وازدهرت في تمبكت في تلك الفترة. وهذا الفقيه العالم المصلح هو والد العلامة الفقيه المؤرخ أحمد بابا التنبكتي.

حياتـــة العلميـــة :

هو أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي يحيى التنبكتي. قال عنه ابنه أحمد بابا: كان علامة فهامة ذكيا دراكا محصلا متفننا محدثا أصوليا بيانيا منطقيا. أخذ العلم عن أمام بلده عمه محمود بن عمر وغيره. ورحل للشرق للاستزادة في العلم ـ فحج سنة ٩٥٦هـ وزار المدينة ولقي في مصر بعض مشاهير العلماء في ذلك

---

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في نيل الابتهاج وتاريخ السودان ولعل صحة العبارة (وكان قاضي تنبكت وولاتن) وولاتن: مدينة قديمة وكانت تابعة لدولة سنغاي في ذلك العهد وتقع حالياً في جمهورية موريتانيا الاسلامية. وتكتب ب (ولاتن) (ولاتا).

(٢) أنظر المصدرين السابقين في الصفحات نفسها.

(٣) نيل الابتهاج ص ٩٣ وما بعدها، وفتح الشكور ص ٣٠ وتاريخ السودان ص٤٢.

الـوقت منهم الشيخ الناصر اللقاني، والشريف يوسف الأرميوطي تلميذ السيوطي وجمال الدين ابن الشيخ زكريا، والشيخ التاجوري والأجهوري وغيرهم من هذه الطبقة، فاستفاد منهم، ولقي بالحجاز بمكة والمدينة جماعة من كبار العلماء منهم أمين الدين الميموني وابن حجر المكي، والملائي، وبركات الحطاب[1]. وعبد العزيز اللمطي، وعبد المعطي السخاوي، وعبد القادر الفاكهاني وغيرهم، وأجازه بعضهم، ولازم أبا المكارم محمد البكري وقيد عنه فوائد[2]، ثم عاد إلى بلاده وجلس للتدريس والتأليف والإفادة. وألف شرح مخمسات العشرينيات الفازازية لابن مهيب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكمل، وشرح منظومة المغيلي في المنطق شرحا جامعا حسنا وكتب حاشية على شرح التتائي على خليل نبه فيه على مواضع السهو منه وقطعا على مواضع من خليل وشرحا يسيرا جدا على جمل الخونجي، وعلق على صغرى السنوسي والقرطبية، وألف في الأصول ولم يكمل. جلس لتدريس صحيح البخاري في رجب وشعبان ورمضان لمدة خمس وعشرين سنة ثم صحيح مسلم كذلك حتى توفي وهو يدرس مسلم[3]. وأخذ عنه العلم أشهر علماء تمبكت من بعده منهم الفقيهان العلامتان الأخوان محمد وأخوه أحمد ابنا الفقيه محمود بغيع أخذا عنه الأصول والبيان والمنطق وغيرها. وعبدالله وعبدالرحمن ابنا الفقيه محمود بن عمر أقيت وابنه أحمد بابا وقال عن نفسه: وحضرت أنا عليه أشياء عدة وأجازني جميع ما يجوز له وعنه وكتب لي بخطه وسمعت بقراءته الصحيحين والموطأ والشفاء. وغير هؤلاء من العلماء في تمبكت وغاو وجنى وغيرها ممن أخذوا عنه وكان رحمه الله رقيق القلب عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس. نفاعاً بجاهه، ولاترد له شفاعة، ويغلظ على الملوك فمن دونهم وينقادون له ويزورونه في داره، ولما مرض في غاو عاصمة سنغاي كان السلطان أسكيا داود أعظم سلطان في السودان في ذلك الوقت وهو سلطان دولة سنغاي كان يزوره ويأتيه بالليل ويسمر عنده حتى برىء احتراما له، وكان جماعا للكتب وافر الخزانة محتوية على كل علق نفيس سموحا باعارتها ...[4]

(١) هو بركات بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المكي المتوفي سنة ٩٨٠هـ أنظر شجرة النور الزكية.
(٢) نيل الابتهاج ص ٩٣-٩٤. وتاريخ السودان ص٤٢ وفتح الشكور ص ٢٩-٣٠.
(٣) المراجع السابقة في الصفحات نفسها.
(٤) انظر تاريخ حياة هذا العالم الجليل في كتاب فتح الشكور ص ٢٩-٣٠. وكتاب ابنه: نيل الابتهاج ص ٩٣-٩٤-٩٥. وتاريخ السودان ص ٤٢/٤٣.

١٤ ـ القاضي محمود أقيت : ٨٦٨ ـ ٩٥٥هـ/ ١٤٦٣هـ ـ ١٥٤٨م .

هو شيخ الإسلام أبو البركات الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت بن يحيى التنبكتي[١]، قال عنه أحمد بابا في النيل : (أبو الثناء، وأبو المحاسن، عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع، كان من خيار عباد الله الصالحين العارفين ذا ثبت عظيم في الأمور وهدى تام وسكون ووقار اشتهر علمه وصلاحه في البلاد، وطار صيته في الأقطار شرقا وغربا. وظهرت ديانته وورعه وصلاحه وعدله في القضاء ونزاهته، لا يخاف في الله لومة لائم، يهابه السلاطين فمن دونهم ويزورونه في بيته فلا يقوم لهم، ولايلتفت إليهم، ويهادونه بالهدايا والتحف، وكان شيخا كريما جوادا يفرق مايهدى له بين الناس. تولى القضاء عام ٩٠٤هـ فشدد في الأمور، وسدد وتوخى الحق في الأحكام، فظهر عدله بحيث لايعرف له نظير في وقته. وإلى جانب توليه منصب القضاء كان يقوم بالتدريس مع ملازمته له فانتفع به بشر كثير وأحيا العلم بتلك البلاد واشتهر علمه هناك وكثر طلبته في حلقة تدريس الفقه، نجب منهم جماعة كثيرة، . وكان أكثر مايدرسه المدونه والرسالة، ومختصر خليل، والألفية وغيرها، وعنه انتشرت قراءة خليل هناك في غرب أفريقيا، وكان طلبته يسجلون دروسه عن مختصر خليل وتعليقاته عليه فأخرجوها شرحا في مجلدين، وانتشر هذا الشرح هناك)[٢] . حج القاضي محمود عام ٩١٥هـ فلقي في حجه جماعة من مشاهير علماء المشرق أمثال إبراهيم المقدسي، والشيخ زكريا، والشيخ القلقشندي، واللقانيين وغيرهم من علماء مصر واشتهر عندهم بالعلم والصلاح. ثم عاد إلى بلاده ولازم التدريب والإفادة وإنفاذ الحق[٣] .

وأخذ عنه العلم والد أحمد بابا كما تقدم وأولاده الثلاثة القضاة: محمد والعاقب وعمر. وغيرهم توفي رحمه الله سادس عشر من رمضان سنة ٩٥٥هـ .[٤] .

والقاضي محمود من أبرز علماء أسرة أقيت وأكثرهم تأثيرا في مدارس تمبكت وغاو في عهد أسكيا الحاج محمد عاهل مملكة سنغاي[٥] الواسعة .

---

(١) نيل الابتهاج ٣٤٣ـ٣٤٤ وتاريخ السودان ص ٣٨ . (٢) نيل الابتهاج ص ٣٤٤ وتاريخ السودان ص ٣٨

(٣)، (٤) انظر المصدرين السابقين . (٥) المصدرين السابقين وتاريخ الفتاش ص ٧٥ـ٧٦ .

١٥ ـ القاضي محمد بن محمود ٩٠٩هـ ـ ٩٧٣هـ[١] :

هو القاضي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت تولى القضاء بعد وفاة أبيه وصفه أحمد بابا بأنه كان على ما أخبر به والده (ذا فهم ثاقب وذهن صاف، فهاما دراكا من دهاة الناس)[٢] كان عالما جليلا ولم يكن له نظير في عمره في الفهم والدهاء ورجاحة العقل له تعليق على رجز المغيلي في المنطق وقد تتلمذ عليه والد أحمد بابا ودرسه البيان والمنطق وغيرهما وأخذ عنه غيره من علماء تمبكت وغيرهم[٣]. توفي في صفر سنة ٩٧٣هـ[٤].

١٦ ـ القاضي العاقب بن محمود أقيت : ٩١٣ ـ ٩٩١هـ[٥] :

هو قاضي تمبكت العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التنبكتي قال عنه أحمد بابا في النيل : (إنه كان مسددا في أحكامه. صلبا في الحق ثبتا فيه لاتأخذه في الله لومة لائم قوي القلب مقداما في الأمور العظام التي يتوقف فيها غيره، جسورا على السلطان فمن دونه، وقع له معهم وقائع وكانوا يخضعون له ويطاوعـونه في كل ما أراد، إذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء وسد بابه، ثم يلاطفونه حتى يرجع وقع له مرارا. أخذ العلم عن أبيه وعمه، ثم رحل إلى المشرق وحج ولقي الشيخ الناصر اللقاني وأبا الحسن البكري، والشيخ البكري وغيرهم من هذه الطبقة، وأجازه اللقاني جميع ما يجوز له وعنه. وقال أحمد بابا: وأجازني هو كذلك وكتب له بخطه[٦]. وقال عنه السعدي : إنه قد ملأ أرضه بالعدل بحيث لايعرف له نظير في ذلك من جميع الآفاق)[٧] . . .

(١) نيل الابتهاج ص ٣٤٠ .

(٢) نيل الابتهاج ص ٣٤٠ .

(٣) تاريخ السودان ص ٣٣-٣٤ ونيل الابتهاج ص ٣٤٠ .

(٤) نيل الابتهاج ص ٣٤٠ .

(٥) نيل الابتهاج ص ٢١٩ .

(٦) انظر نيل الابتهاج ٢١٨ ـ٢١٩ وذكر أنه توفي في أحد عشر من شهر رجب عام ٩٩١هـ .

(٧) تاريخ السودان ص ٣٤ .

١٧ ـ القاضي عمر بن محمود أقيت أخو العاقب. ت سنة ١٠٠٣هـ الموافق ١٥٩٤م[١].

هو القاضي عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت. أخذ العلم عن أبيه وبرع في علم الحديث والسير والتاريخ وأيام الناس، وبلغ الغاية القصوي في الفقه، حتى قال عنه بعض من عاصره من الشيوخ: إنه لو كان موجودا في زمن ابن عبد السلام بتونس لاستحق أن يكون مفتيا فيها[٢]. قلت وهذه العبارة التي حكاها السعدي عن بعض العلماء دليل واضح على مكانة هذا العالم في العلم، وبرهان ساطع أيضا على أن علماء غربي أفريقيا في ذلك الزمان كانوا لايقلون في مستواهم العلمي والفكري والثقافي عن علماء المغرب. بل قد فاق بعضهم علماء شمال افريقيا والمغرب في أيامه مثل الشيخ أحمد بابا الذي اعترف بعلمه وتفوقه على من سواه من العلماء في وقته علماء المغرب[٣].

تولى الشيخ عمر بن محمود قضاء تمبكت في آخر يوم من شهر محرم سنة **٩٩٢هـ** بعد أن رفض ذلك حتى كتب له أسكيا سلطان سنغاي أنه إنْ لم يقبلها يوليها الجاهل، وكل ما حكم به الجاهل لايسأل عنه غدا بين يدى الله تعالى إلا هو[٤].

توفي رحمه الله سنة **١٠٠٣هـ** في مراكش وهو من علماء تمبكت الذين حلت بهم كارثة تنبكت أيام غزو منصور الذهبي ملك مراكش لبلاد السودان، وقد نقل هو وخيار علماء السودان مصفدين بالسلاسل بعد إعدام الكثير منهم في تمبكت وتدمير مكتباتهم العلمية[٥]. كما سيأتي بيان ذلك عند الحديث على أثر غزو الجيش المراكشي على الثقافة الإسلامية في تمبكت وغيرها من بلاد السودان.

١٨ ـ أحمد بن محمد بن سعيد سبط الفقيه محمود بن عمر من جهة أمه:

عالم فقيه كان من علماء تمبكت المتضلعين في الفقه ومن حفاظ القرآن الكريم

---

(١) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص ١٧٨.

(٢) تاريخ السودان ص ٣٤.

(٣) أنظر ذلك في ترجمته من كتاب فتح الشكور ص ٣١-٣٧ تجد كيف فاق أقرانه في المغرب وسائر بلاد السودان والمغرب. وأنظر أيضا ترجمته لنفسه في كتابه كفاية المحتاج.

(٤) فتح الشكور ص ١٧٨.

(٥) تاريخ الفتاش ١٧٤ وتاريخ السودان ص ١٧١. وفتح الشكور ص ١٧٨.

المتقنين، ومن مدرسي تمبكت المشهورين. أخذ العلم عن جده لأمه الشيخ محمود بن عمر أقيت. ودرس عليه الرسالة ومختصر خليل، وأخذ عن غيره المختصر والمدونة، وجلس للتدريس من عام ٩٦٠هـ إلى حين وفاته، وتزاحم عليه طلاب العلم وانتفعوا به[١]. وذكر أحمد بابا في نيل الابتهاج : (بأنه أخذ عنه العلم الأخوان الفقيهان : الشيخ محمد بغيع وأخوه أحمد. قرأ عليه الموطأ والمدونة ومختصر خليل، وغيرها وله استدراكات في الفقه وحاشية لطيفة على خليل اعتنى فيها بالنقل وأعتمد على نقل البيان والتحصيل) . وقال : (إنه حضر دروسه وهو صغير)[٢] . وكان مولده سنة ٩٣١هـ وتوفي في محرم سنة ٩٧٦هـ[٣] .

١٩ - بابكر بير ٩٣٢ - ٩٩١هـ/ ١٥٢٥ - ١٥٨٣م[٤]

هو الفقيه أبو بكر المعروف بباكر بير بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت[٥]، وهو نموذج حي للعلماء الذين يبذلون النفس والنفيس في سبيل العلم وطلابه، كان رحمه الله يقوم بالتدريس في تمبكت وينفق على تلاميذه المحتاجين وعلى الأيتام وعلى كل تلميذ متغرب[٦] .

وذكر أحمد بابا : أنه أول من قرأ عليه علم العربية ففتح الله عليه في مدة قريبة بلا عناء. . . ووصفه بأنه من خيار عباد الله الصالحين رفض الدنيا والرغبة عن زهرتها مع ما أوتي أهل بيته حينئذ من الرئاسة والدولة. وقال: مارأيت قط مثله ولا من يقرب منه في معناه، له تأليف في التصوف وغيره، منها معين الضعفاء، وغيره[٧] . رحل مع عائلته في حجته الثانية وأقام بالمدينة المنورة حتى توفي فيها سنة ٩٩١هـ[٨]، وهو عم

---

(١) تاريخ السودان ص ٤٣ وفتح الشكور ص ٢٨ .

(٢) نيل الابتهاج ص ٩٥ وانظر أيضاً تاريخ السودان ص ٤٣ وفتح الشكور ص ٢٨ .

(٣) المصادر السابقة .

(٤) نيل الابتهاج ص ١٠٢ وتاريخ السودان ص ٣٢-٤١ .

(٥) المرجعين السابقين .

(٦) تاريخ السودان ص ٣٢ و ص ٤١ .

(٧) نيل الابتهاج ص ١٠٢ .

(٨) المصدرين السابقين في الصفحات نفسها .

أحمد بابا. وأما أحمد بابا نفسه فسأفرد له ترجمة خاصة نظرا لأثره البارز في العلم وشهرته في السودان والمغرب وحركته الاصلاحية في السودان، وهو أكثر علماء السودان الغربي تأثيرا في ازدهار العلم والثقافة الإسلامية في تلك المنطقة بل وفي المغرب أيضا وهو عمدة الحركة العلمية والثقافية في السودان، ومرجع العلماء والمؤرخين والباحثين عن الحياة العلمية والثقافية في تلك المنطقة، لذا وجب إفراده بالحديث عن أثره في الحركة العلمية والثقافية في تلك الفترة، وكل هؤلاء العلماء الذين تقدم ذكرهم بأنهم من العلماء الذين لهم أثر بارز في الشهرة العلمية والثقافية التي اشتهرت بها تمبكت وغاو وتميزت بها مدينة تنبكت عن غيرها حتى أصبحت مركز الدين والعلم والثقافة. كل هؤلاء العلماء من أسرة أقيت.

أشهر العلماء الذين أسهموا في ازدهار الثقافة الإسلامية في جامعات تمبكت ومدارسها من غير أسرة أقيت

٢٠ ـ القاضي الفقيه العلامة أبو عبد الله مودب محمد الكابري:

كان من أصحاب الحلقات الدراسية في جامع سنكري حيث كان حافلا يومئذ بالطلبة من السودانين وأهل المغرب المجتهدين في العلم[١]. وموطن هذا العالم شيخ الشيوخ هو كابرا (ميناء تمبكت الشهير الذي يقع على نهر النيجر) ثم انتقل إلى تمبكت وتوطنها في القرن التاسع. ولم يكن القاضي مودب هو الوحيد من علماء كابرا في تمبكت بل كان معه الكثيرون من العلماء الذين انتقلوا إلى تمبكت من كابرا، فقد ذكر السعدى: أن الذين دفنوا معه في روضته ثلاثون عالماً من علماء كابرا[٢]. وهذا دليل على أن مدينة تمبكت كانت محط أنظار العلماء والطلاب من جميع أرجاء غربا أفريقيا

---

(١) تاريخ السودان ص ٤٧.

(٢) المرجع السابق ص ٤٨. وقول السعدي «إن الذين دفنوا معه في روضته ثلاثون عالماً» يقصد به المكان المخصص لدفن علماء مدينة كابرا في تمبكت حيث جرت العادة عند السودانيين في غربي إفريقيا بتوزيع المقابر حسب الأهمية ونسبتها إلى أشخاص من العلماء أو حارات. والله أعلم.

بل من جميع أنحاء العالم الإسلامي في ذلك الوقت، بعد ازدهار الحركة العلمية فيها واشتهارها عالميا بأنها من أهم مراكز الدين والعلم والثقافة والتجارة في العالم[1] . وكان الكابري شيخ الشيوخ الذين عاصرهم في تمبكت أمثال الشيخ عبد الرحمن التميمي الذي استقدمه السلطان منسى موسى من مكة المكرمة أثناء حجه وهو جد القاضي حبيب، والفقيه أندغمحمد الكبير جد القاضي محمود لأمه، والفقيه عمر بن محمد أقيت، والعلامة يحيى التادلسي[2] . وقد رثاه تلميذه الفقيه يحيى التادلسي في اثنين وعشرين بيتا من الشعر بين فيها مكانة هذا العالم وأنه من مشاهير العلماء وأنه كان يسلك في طريقة الشرح وتوضيح المعاني والأحكام : الأسلوب المبسط لتقريب الفهم وتسهيل الاستيعاب مع التعمق في الدروس والمصابرة الطويلة في التحضير[3] .

ومن تلك الأبيات من البيت السادس :

أطلاب علم الفقه تدرون ما الذي ... يثير هموم القلب من كل وافد
يثير هموم القلب فقد سميدع[4] ... فقيه حليم حامل للفرائد
بحسن تعليم مقرب فهمه ... وفتاق تهذيب بحسن الفوائد
محمد الأستاذ مودب ذي النهى ... رباطا صبارا أمره في التزايد
فيا عجبا هل بعده من مبين ... ويا عربا هل بعده من مجالد[5]

فهذه الأبيات توضح لنا الطريقة التي يتبعها هذا العالم الجليل في التدريس وصبره على المناقشة في المسائل المختلفة مع طلابه حتى يتمكنوا من بلوغ أهدافهم من التحصيل .

(١) أنظر دولة مالي الإسلامية ص ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ وأمراطورية غانة الإسلامية ص ١٥١ المرجعين لإبراهيم طرفان وأنظر أيضا هذين المصدرين تاريخ السودان ص ٢١، وتاريخ الفتاش ص ١٧٨/ ١٧٩ .

(٢) تاريخ السودان ص ٤٧ .

(٣) أنظر تاريخ السودان ٤٨ - ٤٩ ومملكة سنغاي ص ١٤٨ - ١٤٩ . لعبد القادر زبادية . ط الأولى .

(٤) السميدع بفتح السين والميم : السيد الكريم ، الشريف السخي ، الموطأ الاكتاف ، والشجاع والذئب ، والرجل الخفيف في حوائجه، والسيف. تطلق على هذه المعاني : انظر القاموس المحيط فصل السين باب العين ج ٣ ص ٤٠ .

(٥) تاريخ السودان ص ٤٩ .

٢١ ـ ومن فحول علماء جامعة سنكري وإمام مسجد محمد نض في القرن التاسع الهجري : العلامة الفقيه يحيى التادلسي المتوفى سنة ٨٦٦هـ :

هو يحيى بن عبدالرحيم بن عبد الرحمن الثعلبي بن يحيى البكاء بن أبي الحسن على ابن عبدالله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قص بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنه[1]. هكذا ذكر السعدي نسب هذا العالم ولم يذكر مستنده ولا المصدر الذي اعتمد عليه في سياق هذه السلسلة. وزعم أن هذا العالم الفقيه قدم إلى تمبكت فترة ولاة كي محمد نض بين عامي ٨٣٧هـ و٨٧٦هـ على تمبكت وأنه تلقاه عند قدومه بالترحاب وأكرمه غاية الإكرام وبنى مسجدا وجعله إماما فيه، وعرف هذا المسجد بمسجـد سيدي يحيى وبلغ الغـاية القصوى في العلم والصلاح، وانتشر ذكره في الافاق، وامتدحه عميد أسرة أقيت في العلم : القاضي محمود بأنه أفضل من دخل تمبكت من العلماء، وكان الشيخ يحيى التادلسي مثالا للعالم العامل لعلمه، فقد كان يعمل بالمعاملات التجارية لسد حاجته حتى لايحتاج إلى الناس في شيء من أمور معيشته، وذلك إلى جانب قيامه بالتدريس وإمامة مسجده وكان يدرس في مسجده وبيته وجامع سنكري أحيانا. وكان يقول لطلبة سنكري عند تدريسه إياهم : يا أهل سنكري كفاكم سيدي عبد الرحمن التميمي[2] . وقد تقدم بعض شعره في رثاء شيخه مودب محمد الكابري .

٢٢ ـ الفقية القاضي الامام/ كاتب موسى[3] :

وهو من أئمة المسجد الجامع الكبير في تمبكت المشهورين وذكر السعدي بأن جميع أئمة هذا الجامع من السودانيين وأن آخر الإئمة من السود ؛ الفقية القاضي كاتب

---

(١) تاريخ السودان ص ٥٠ .

(٢) انظر تاريخ السودان ص ٤٩ـ٥٠ـ٥١ والتعليم الإسلامي في معاهد غرب افريقيا من القرن ٨ـ١٤هـ ص ٢١٣ـ٢١٤ـ٢١٥ .

(٣) ولم يذكر السعدي اسمه الكامل وإنما ردد اسمه بكاتب موسى. انظر تاريخ السودان ص ٥٧ كما لم يذكر تاريخ ميلاده ولا وفاته .

موسى وذكر أنه مكث في الإمامة أربعين سنة لم يستنب ولم يتخلف ولو في صلاة واحدة لما حباه الله من صحة وعافية بين سببها عندما سئل عن ذلك. وقال السعدي : إنه من علماء السودان الذين رحلوا إلى فاس لطلب العلم بأمر من السلطان العادل سلطان مالي منسي موسى / فلما انتهى من دراسته بفاس عاد إلى بلاده مالي وقدم معه الفقيه عبد الله البلبالي الذي استقدمه منسي موسى وخلف عبد الله البلبالي هذا الفقيه القاضي كاتب موسى في الإمامة وهو أول رجل أبيض صلى بالناس إماما بالمسجد الجامع الكبير وكان جميع أئمته منذ تأسيسه من السود[1] .

وكان الفقيه كاتب موسى إلى جانب توليه منصب الإمام في الجامع الكبير والتدريس فيه يشغل منصب القاضي، ولايقضي بين الناس - كما يقول السعدي - (إلا في رحبته سس دبي في وراء داره من جهة المشرق ينصب له المنصة تحت شجرة كبيرة). وهو من علماء السودان البارزين الذين ظهر أثرهم جليا في نمو الحركة الفكرية والثقافية وأسهموا بقسط وافر من العلم في ازدهار الحركة العلمية المباركة في السودان الغربي كله وفي مدينة تمبكت بصفة خاصة التي أصبحت كعبة الثقافة والعلوم في السودان آنذاك[2] .

٢٣ - مسر بوب الزغراني التنبكتي :

ينسب لقبيلة الزغرانيين في غرب السودان الغربي وكان رحمه الله عالما فاضلا خيرا صالحا نادر المثل في قبيلته، وقد اشتهر بالعلم والصلاح على الرغم أنه ينحدر من قبيلة الزغران التي وصفها السعدي والتواتي بأنها لاتعرف بالصلاح ولا بحسن الإسلام[3] . وهو صاحب الفقيه محمود بن عمر . وكان من أهل الثقة العلمية عند أسرة أقيت، وقد تتلمذ عليه الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود بن عمر أقيت في أول الأمر حتى أنه كان يحترم كل زغراني لأجل شيخه مسر بوب، وذكر السعدي أنه كان في مدرسته

---

(١) تاريخ السودان ص ٥٧ .

(٢) المرجع السابق وتاريخ الفتاش ص ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) تاريخ السودان ص ٥١ - ٥٢ وفتح الشكور في أعيان علماء التكرور ص ١٤٧ .

ذات يوم فأذنه الناس بجنازة، فقال : من هو؟ «قيل زغراني، قال نصلى عليه لأجل الشيخ مسر بوب فخرج فصلي عليه[1]. وهو من المساهمين في نشر العلم والثقافة الإسلامية في تمبكت والسودان كله. وقال صاحب فتح الشكور: أنه لم يقف على تاريخ وفاته[2] .

٢٤ ـ الفقيه صديق تعلى المتوفى سنة ٩٧٣هـ :[3] .

هو الفقيه صديق بن محمد تعلى الكابري الأصل والجنجوي المولد[4]. إمام المسجد الجامع الكبير بتمبكت وأحد علمائه البارزين .

والفقيه صديق وصفه السعدي بأنه كان عالما فقيها فاضلا خيرا صالحا. وهو من علماء بلدة جنج القريبة من تمبكت والمجاورة لها، جاء إلى مدينة تمبكت لينهل من منابع العلم والمعرفة والثقافة في هذه المدينة التي أصبحت كعبة العلم يقصدها العلماء وطلبة العلم. رحل إليها هذا العالم الفقيه وتوطنها على الرغم أنه كان صاحب مدرسة في بلدته جنج وفيها طلبته النجباء والرواية التي ذكرها السعدي وغيرها في سبب رحيله من جنج إلى تمبكت وترك مدرسته وطلبته تدل على مدى حرص هذا العالم على الاستزادة من العلم، كما توضح لنا مدى ماوصلت إليه مدينة تمبكت من التقدم العلم والثقافي ومدى تقدم الفكر الإسلامي فيها.

فقد قال السعدي وصاحب فتح الشكور : أن سبب رحيله إلى تمبكت وتوطنه فيها : أنه صور مسألة من مسائل الفقه في مدرسته يوما واحداً، وهناك من طلبته الذي ارتحل إلى تمبكت بعدما قرأ عليه ما قرأ ثم رجع إلى جنج . فقال : صورة هذه المسألة ليست كذلك على ما سمعت من الفقهاء، في تمبكت. فقال : وما هي ؟ قال: كذا وكذا. قال ضيعنا عمرنا باطلا[5] تولى الفقيه

---

(١) المرجعين السابقين .

(٢) فتح الشكور ص ١٤٧ ولم يذكر السعدى أيضا مولده ولا تاريخ وفاته .

(٣) فتح الشكور ص ١٥٥ .

(٤) تاريخ السودان ص ٦١ وفتح الشكور ص ١٥٤ .

(٥) المصدرين السابقين في الصفحات نفسها .

صديق إمامة المسجد الجامع لمدة أربع وعشرين سنة حتى توفي سنة ٩٧٣هـ[١] فتنازع أهل الجامع الكبير بعد وفاته في الفقيه كداد الفلاني والفقيه أحمد بن الإمام صديق فاختار القاضي العاقب كداد إمام وهو فاضل من عباد الله الصالحين، فمكث في الإمامة اثنتي عشرة سنة[٢]، وخلفه بعد موته في الإمامة الفقيه أحمد بن الإمام صديق بأمر القاضي العاقب ومكث فيها خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام وهو آخر أئمة المسجد الكبير في دولة سنغاي. وظل في الإمامة بعد غزو المغرب مملكة سنغاي والاستيلاء على تمبكت لمدة خمس سنوات[٣]، رحل الفقيه صديق إلى المشرق الإسلامي وأدى فريضة الحج والتقى بكثير من العلماء في مصر والحجاز ومنهم الشيخ محمد البكري الصديقي ثم عاد إلى بلاده وانتفع الناس بعلمه[٤].

٢٥ ـ محمد بغيع[٥] : ٩٣٠ ـ ١٠٠٢هـ/ ١٥٢٣ ـ ١٥٩٣[٦] .

وهو محمد ابن الفقيه القاضي محمود بن أبي بكر بغيع جنوى بلدا ونكرى أصلا وتولى والده قضاء جني بعد وفاة قاضيها العباس كب سنة ٩٥٩هـ.[٧] كما سيأتي الكلام عليه عند الحديث علي جني وعلمائها .

وهو محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي ولمحمد هذا أخ عالم جليل وهو أحمد بن محمود بغيع، ومحمد بغيع هذا من أشهر علماء تمبكت في وقته وأكثرهم ملازمة للتعليم ونفعاً للطلاب وأهل العلم ومن أشهر شيوخ أحمد بابا وأشدهم تأثيرا فيه وفي كل تلاميذه. وكان مثار عجب معاصريه في الصبر على إيصال الفائدة والمعلومات إلى البليد من تلاميذه بلا ملل أو ضجر .

---

(١) المصدرين السابقين .

(٢) مَهَر كداد هذا في الحديث والفقه وكان مدرسا وواعظا. توفي سنة ١٦٢٥م .

(٣) انظر المراجع السابقة وانظر أيضا تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمؤلف مجهول ص ١٧٩ لايعرف اسم مؤلفه، لكن الثابت أنه كان يعيش في تمبكت وإنه تعلم هناك وكلفه الباشا أبو بكر بوضع كتاب في تاريخ السودان يكمل به عمل السعدي وقد فرغ من تأليفه في ١٩ يوليه عام ١٧٥١م انظر بداية الحكم المغربي ص ٥٣٦ .

(٤) تاريخ السودان ص ٦١ وفتح الشكور ص ١٥٤ـ١٥٥ .

(٥) بهاء مفتوحة فغين معجمة ساكنة فياء مضمومة، فعين مهملة مضمومة، هكذا ضبطه أحمد بابا والسعدي .

(٦) انظر نيل الابتهاج ص ٣٤١ـ٣٤٢ وتاريخ السودان ص ٤٣ـ٤٤ـ٤٥ .

(٧) تاريخ السودان ص ١٩ .

وقد وصفه تلميذه أحمد بابا : بالعالم المتفنن الصالح العابد المفتي من خيار عباد الله الصالحين والعلماء العاملين مطبوع على الخير وحسن النية وسلامة الطوية. . . وقال : (إن الناس كلهم يتساوون عنده لحسن ظنه بهم وعدم معرفة الشر مع السعي في قضاء الحوائج وارتكاب ضرر نفسه فيه والتفجع لمكروههم والإصلاح بينهم ونصحهم إلى محبة العلم وتعليمه)[1] .

نشره للعلم عن طريق إعارة الكتب وسعيه في اقتنائها شراء ونسخا :

وقال عنه تلميذه في ذلك : (وكان يبذل نفائس الكتب الغريبة العزيزة لهم ، بحيث لايفتش بعد ذلك عنها كائنا ما كان من جميع الفنون فضاع له بذلك جملة من كتبه نفعه الله تعالى بذلك، وربما يأتي لباب داره طالب فيرسل له براءة فيها اسم كتاب يطلبه فيخرجه من الخزانة ويرسله له من غير معرفته من هو، فكان في ذلك العجب العجائب إيثارا لوجهه تعالى مع محبته للكتب وسعيه في تحصيلها شراء ونسخا، وقد جئته يوما أطلب منه كتب نحو، ففتش في داره فأعطاني كل ماظهر به منها [2].

منهجه في التدريس والتعليم وإيصال المعلومات إلى أذهان تلاميذه :

وصفه أحمد بابا : بأنه كان له صبر عظيم على التعليم آناء الليل وصبر على إيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا كسل حتى يضجر حاضروه وهو لايكترث فنفع الله به كثيرا مع ملازمة العبادة وصلاح النية والتجافي عن رديء الأخلاق . . . طويل الروح في التعليم لايأنف من مبتدىء ولابليد ، أفنى فيه عمره مع تشبثه بحوائج العامة ، وأمور القضاء إذ لم يصيبوا عنه بديلا ولا نالوا له مثيلا ، وقد طلب من جهة السلطان بتولية قضاء محل السلطنة فأنف منه وامتنع فخلصه الله تعالى .

(١) نيل الابتهاج، ص ٣٤١ وانظر تاريخ السودان ص ٤٣-٤٥-٤٦ .
(٢) نيل الابتهاج ٣٤١ وانظر أيضا تاريخ السودان ص ٤٤-٤٥ .

لازم التدريس والإقراء ولاسيما بعد موت الشيخ أحمد بن سعيد، وقال أحمد بابا : أدركته أنا يقرىء من صلاة الصبح أول وقته إلى الضحى الكبيرة دولا مختلفة، ثم يقوم لبيتـه ويصلي الضحى مدة، وربما مشى بعدها للقاضي في أمر الناس ويصلح بين الناس، ثم يدرس في بيته وقت الزوال ثم يصلي الظهر بالناس ويدرس إلى العصر، ثم يصليها، ويذهب إلى موضع آخر يدرس فيه إلى الاصفرار أو قربه، وإذا صلى المغرب درس في الجامع إلى العشاء، ثم رجع لبيته، وسمعت أنه يحيى آخر الليل دائـما، وكان مع ذلك محققا دراكاً ذكيا فطنا غواصا على اللطائف، حاضر الجواب سريع الإدراك وجودة الفهم، معروفا بذلك[1].

شيوخه ورحلاته العلمية وتلاميذه :

قال تلميذه أحمد بابا : (أخذ العربية والفقه على أبيه الفقيه القاضي محمود وعلى خالـه، ثم رحـل لتنبكت مع أخيه الفقيه أحمـد فلازمـا الفقيه أحمـد بن سعيد في المختصر، ثم حجـا مع خالهـما، فلقـوا بمصر النـاصر اللقاني والتاجوري والزين البحيرى والشريف يوسف، والبرهموش الحنفي والشيخ الإمام محمد البكري وغيرهم فحصلا هناك ما حصلا ثم رجعا بعد أداء فريضة الحج وموت خالهما فاستوطنا تنبكت فأخذا أيضا عن ابن سعيد الفقه والحديث قرأ عليه المدونة والموطأ والمختصر وغيرها ولازماه. وعن السيد الوالد أحمد بن أحمد الأصول والبيان والمنطق فقرأ عليه أصول السبكي والتلخيص، وحضر عليه شيخنا وحده جمل الخونجي ـ الكلام لأحمد بابا ـ ولازم مع ذلك الأقراء فحصل له علوم حتى صار في آخرة الحال شيخ وقته في الفنون لانظير له. ويضيف أحمد بابا قائلا : لازمته أكثر من عشر سنين فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل، وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير وختمتهما عليه. أما خليل فمرارا عديدة نحو عشر مرات أو ثمان بقراءتي وقراءة غيرى. وحضرت عليه التوضيح كذلك لم يفتني منه إلا يسير من الوديعة إلى الأقضية، وختمت عليه الموطأ قراءة تفهم وحضرته كثيرا في المنتقى والمدونة بشرح المحلى ثلاث مرات، وألفية العراقي في علم الحـديث مع شرحهـما وحضرتها عليه مرة أخرى، وختمت عليه تلخيص

(١) المرجعين السابقين .

المفتاح مرتين وتلخيص المفتاح بمختصر السعد، وصغرى السنوسي مع شرح الجزيرية وحضرت عليه الكبرى وشرحها، وقرأت عليه حكم ابن عطاء الله مع شرح زروق عليه، ونظم أبي مقرعة والهاشمية في التنجيم مع شرحها ومقدمة التاجوري فيه ورجز المغيلي في المنطق، والخزرجية في العروض بشرح الشريف، والدماميني وكثيرا من تحفة الحكام لابن العاصم في الأحكام مع شرح ولده عليها، وسمعت بقراءته هو كثيرا من البخاري ومسلما كله، ودولا من مدخل ابن الحاج، وبقراءة غيرى دروسا من الرسالة والألفية وغيرهما، وسمعت بلفظه جامع معيار الونشريسي كاملا، وهو مجلد كبير، ومواضع آخر منه، وباحثته كثيرا في المشكلات وراجعته طويلا في المهمات، وبالجملة فهو شيخي وأستاذي ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكتبه رحمه الله)[1] .

قال أحمد بابا : (وأجازني جميع ما يجوز له وعنه وكتب لي بخطه في ذلك. وأوقفته على بعض تأليفي وتقاييدي فكتب لي بخطه الثناء والموافقة بل كتب عني أشياء من أبحاثي لحسن نيته. وسمعته ينقل في دروسه بعضها لانصافه وتواضعه وقبوله الحق حيث تعين، وكان حاضرا معنا يوم الكائنة العظمى[2] ، علينا بتنبكت فنجاه الله تعالى. فكان آخر عهدي به ثم بلغني وفاته بها يوم الجمعة من شوال في عام اثنين وألف رحمه الله تعالى، وأخبرني أن مولده سنة ثلاثين وتسعمائه. وله تعاليق وحواش نبه فيها على هفوات لشراح خليل وغيره، وتتبع شرح التتائي الكبير من أوله إلى آخره فبين ما فيه من السهو نقلا وتقريرا في غاية الإفادة، وقد جمعتها في عدة كراريس تأليفا مستقلا. وله فتاوى عديدة. انتهى ماكتبه أحمد عن شيخه)[3] .

وعندما حلت نكبة الغزو المراكشي بعلماء تمبكت عامة وأسرة أقيت خاصة كان هو النبراس الباقي في تمبكت لينير للناس فيها طريق الحق والهدى وقد وقف موقفا شجاعا أمام الباشا المراكشي حين طلب منه أن يكتب شهادته زورا وكذبا ضد من أسر أو قتل من العلماء والفقهاء في تمبكت ليتخذها حجة على إدانتهم بالمروق عليه وتعاونهم مع

---

(١) نيل الابتهاج ص ٣٤١-٣٤٢، وتاريخ السودان ص ٤٥-٤٦ .

(٢) أي يوم ألقى محمود بن رزقون القبض على علماء تمبكت ورحلهم إلى مراكش. انظر ص ٥٨ من هذا البحث .

(٣) نيل الابتهاج ص ٣٤١-٣٤٢ وتاريخ السودان ص ٤٦-٤٧ .

السلطان نوح عاهل سنغاي المناهض للاحتلال، وأبى الشيخ محمد أن يفعل ذلك ولو قطعت رأسه عن جسده. وفي النهاية عفى عنه الباشا إكبارا منه لنبل موقفه وورعه، وأصبح بعد ذلك محل تقدير واحترام الباشا، وصاحب شفاعة لكثير من أهل تنبكت[1]. وهذا العالم لايزال ذكره عالقا في أذهان الأفريقيين في غرب افريقيا وآثار مدرسته باقية في تمبكت لشدة تأثيره على أهلها .

٢٦ ـ القاضي محمود كعت وأسرته :

هو القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمني دارا والتنبكتي مسكنا الوعكري أصلا. ولد في منطقة كورما غرب غاو وعاصر أمير المؤمنين الحاج أسكيا محمد الذي حكم سنغاي من ١٤٩٣ ـ ١٥٢٨م وسكن في تمبكت وتلقى العلم على علمائها وفقهائها وبرع في الأدب والفقه وتقلد ومنصب القضاء وكان زاهدا ورعا أحبه أسكيا محمد وقربه إليه وجعله من مستشاريه[2] .

اختلف في تاريخ ميلاده إلا أنه عاش في أيام أسكيا الحاج محمد وحج معه سنة ١٤٩٥م في أواخر القرن التاسع الهجري أو في ٩٠٢هـ . وقد ذكر أنه كان معه في حجه وقال في أثناء ذكر من معه من العلماء والأمراء والأعيان: (والمبتلى بالتأليف أنا محمود كعت[3]

وكان القاضي الفقيه محمود كعت وأبناؤه: القاضي الفقيه: اسماعيل بن محمود كعت[4]، والفقيه يوسف بن محمود كعت[5]، ومحمد الأمين بن محمود كعت، وحفيده ابن المختار وهو ابن بنت القاضي محمود كعت صاحب التاريخ وهؤلاء من أسرة كعت من أعلام العلماء واشتهر الخمسة المذكورة أسماؤهم بأنهم أعلام المؤرخين السودانيين

---

(١) انظر قصة موقفه مع الباشا في تاريخ الفتاش ص ١٧٦-١٧٧ .

(٢) انظر ما تقدم في مقدمة كتابه تاريخ الفتاش ص ١-١٦ وما بعدها وبداية الحكم المغربي في السودان ص ٥٣١ ومملكة سنغاي في عهد الأسقيين ص ١٦٠-١٦١ .

(٣) تاريخ الفتاش ١٦ .

(٤) تاريخ الفتاش ص ٧٥ وص ١١٦ .

(٥) الفتاش ١٤٢ وفي أماكن متفرقة جاء ذكر هؤلاء الفقهاء من أسرة كعت .

وقد ألف القاضي محمود كتابه (تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظام الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار) خلال القرن السادس عشر الميلادي وحسبما تذكره بعض المصادر أنه ولد سنة ١٤٦٨م وابتدأ كتابة مؤلفه وهو في سن الخمسين وتوفي سنة ٩٥٨هـ الموافق ١٥٥٢م وعلى هذا الاعتبار يكون كعت قد حضر احتلال المغاربة بلاد السودان، وما سبق ذلك من أزمات سياسية بين البلدين، مما يعطي كتابه ميزة خاصة، ولكن الحوادث التي احتواها الكتاب تجتاز عمره بست سنوات مما يبعث على الاعتقاد بأن الكتاب قد أتمه بعض أحفاده بعد وفاته[1]. وقد جاء في مواضع متفرقة من الكتاب ما يدل على أن حفيده ابن المختار هو الذي أكمل الكتاب معتمدا في ذلك على بعض مذكرات أخواله فقد قال في ص ١٤٢ : (ورأيت بخط خالنا الفقيه يوسف كعت بن الفع محمود كعت رحمهما الله أنه جاءه مرسول الأمير. . .)، ويقول في ص ١٠٨ ومن ذلك ما رويت عن خالي يرويه عن أبيه الفع كعت. .) وقد كرر مثل هذا في مواضع من الكتاب ويقول في موضع آخر : (وقال القاضي اسماعيل كعت. . .)[2]، وهذا يدل على أن القاضي محمود كعت قد حرر أجزاء من الكتاب وترك أجزاء لم يحررها مباشرة بل تركها كمذكرات في أيدي أبنائه وقام بتحريرها أحد أحفاده بعد أن ضمها إلى مذكرات أخرى لبعض أبناء القاضي محمود. والله سبحانه وتعالى أعلم[3] وقد بدأ محمود كعت كتابه بالحديث عن بداية عهد محمد أسكيا وحجه فأثنى عليه كثيرا ووصفه بالعدل والصلاح واقامة الدين في حين أنحى باللائمة على سلفه سني علي ووصفه بالخروج على الدين[4]. . . والقاضي محمود كعت من الذين أسهموا في إرساء قواعد النهضة الثقافية الإسلامية المزدهرة في السودان الغربي في عهد

(١) انظر ص ٧٥ و ص ١١٦ وص ١٤٢ من الفتاش نفسه، ومملكة سنغاي ص ١٦٠-١٦١.

(٢) انظر ص ٧٥-١٠٨-١٤٢. . ويحتمل أن يكون الحفيد قد ألحق هذه الزيادات بمثابة الاستدركات على الكتاب.

(٣) إن صح هذا يكون حفيد محمود كعت هذا ابن بنته المدعو ابن المختار قد استخدم الوثائق التي تركها أسرة كعت وبدأها جده محمود وأبناؤه ليخرج لنا كتاب الفتاش.

(٤) تاريخ الفتاش ص ١٧٥ وما بعدها.

حكم آل إسكيا لأمـبراطورية سنغاي ومن العلماء المشهود لهم بالكفاءة العلمية في التعليم والإصلاح .

وقـد كان محمـود كعت من العلماء المرموقين في تمبكت، وكان من المقربين لدى السلاطين مما ساعده على الاهتمام بكتابة تاريخ بلاده وإيراد أخبار مفيدة عن كثير من الأحداث التي وقعت في صدر دولة سنغاي المترامية الأطراف إلا أنه على الرغم من اتساع عنوان الكتاب فإنه لم يشتمل على تسجيل كل الحوادث المهمة عن دولة سنغاي .

٢٧ ـ عريان الرأس المتوفي سنة ١٠٢٠هـ[١]

وهو الفقيه أبو عبدالله محمد بن محمد بن علي بن موسي عريان الرأس وهو من فقهاء تنبكت الصالحين ـ كما يقول السعدي ـ وكان سخيا كريما خرج من ماله كله صدقة لله[٢] يتصدق على الفقراء والمساكين واشترى كثيرا من الأرقاء وأعتقهم لوجه الله، وكان بيته مفتوحا لكل من جاءه يدخل بلا استئذان يأتيه الناس من كل مكان، ومن أصدقاء الفقيه أحمد بن الحاج أحمد والد أحمد بابا، ومن تلاميذ الفقيه عبد الرحمن ابن الفقية محمود. ويسميه أهل سنكري بـ محمد ولد أد على[٣] .

٢٨ ـ ومن الشيوخ الذين لهم تأثير في مدرسة تمبكت الثقافية : الشيخ الأمين بن أحمد ت ١٠٤١هـ شيخ عبد الرحمن السعدي صاحب تاريخ السودان .

وذكر عبد الرحمن السعدي أن شيخه الأمين أحمد قد بز أقرانه ومعاصريه من علماء تمبكت في المعرفة وكان مجتهدا صاحب تخصصات متعددة : نحوى تصريفي لغوى، له حظ في معرفة الصحابة رضي الله تعالي عنهم ، وكان من علماء تمبكت البارزين الذين أسهموا بقسط وافر من العلم في النهضة الثقافية في مدينة تمبكت في السودان الغربي بصفة عامة، توفى رحمه الله في شوال سنة ١٠٤١هـ وكان مولده سنة ٩٥٧هـ[٤] .

(١) تاريخ السودان ص ٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٢ وما بعدها .

(٣) تاريخ السودان ص ٥٢ـ٥٣ .

(٤) أنظر تاريخ السودان ص ٥٥ـ٥٦ وص ٢٤٧ .

٢٩ ـ عبد الرحمن السعدي أو السعيدي ١٠٠٤ ـ ١٠٦٦هـ ١٥٩٦ ـ ١٦٥٥م :

هو عبد الرحمن بن عبدالله بن عمران بن عامر السعدي، وقد لقب نفسه بالسعيدى في موضعين من كتابه فقال في ص ٢١٣ : وفي ليلة الأربعاء ليلة الفطر. . . ولد جامع هذه الكراريس عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي. وفي ص ٢١٦ قال : «وفي أواخر هذا العام توفي عمنا بابا عامر بن عمران بن عمران السعيدي. وقد اتفقت النسختان من كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور على السعيدي»[١] وإنما جاءت كلمة (السعدي) في صدر كتابه المطبوع تحقيق هوداس[٢] . وينتمي السعدي إلى أسرة من الفقهاء في تمبكت حيث كان مولده وقد ولد بعد وفاة القاضي والمؤرخ محمود كعت بثلاث سنوات[٣] . وقد كان السعدي من العلماء ومن بيت علم وجاه تولى إمامة جامع سنكرى سنة ١٠٣٦هـ، وألف كتابه تاريخ السودان. وقد شهد الاحتلال المراكشي لأمبراطورية سنغاى الإسلامية ومدينة تنبكت فجاءت حوادث ذلك العهد مفصلة في كتابه في حين جاءت حوادث الفترة السابقة مختصرة، وقد كان لكتاب السعدي تاريخ السودان: الفضل الأكبر في إبراز صورة الحضارة والثقافة الإسلاميتين في السودان الغربي عامة ومدينة تمبكت وجنى بصفة خاصة، فهو مؤرخ إمبراطورية سنغاي الإسلامية أولا وإمبراطورية مالي الإسلامية ثانيا[٤] .

والمتتبع لهذا الكتاب يدرك مدى أهميته في تاريخ التعليم والفكر الإسلاميين وما وصلت إليه أمبراطورية سنغاي من الازدهار الثقافي والعلمي والتجاري في ذلك العهد وما قام به علماء غرب افريقيا من حركة علمية مباركة في جميع أنحاء السودان الغربي ، وقد استهل السعدي مقدمة كتابه بذكر الأسباب التي حدت به إلى التأليف فقال : «ولما

---

(١) أنظر ص ٢١٣ وص ٢١٦ من تاريخ السودان. وانظر فتح الشكور ص ١٧٦ .

(٢) انظر عنوان الكتاب: تاريخ السودان الصفحة الأولى .

(٣) مملكة سنغاي ص ١٦١ .

(٤) راجع كتابه تاريخ السودان ص ٢ إلى ٦٥ وما بعدها .

رأيت انقراض ذلك العلم - أي خراب تمبكت بنفي علمائها إلى مراكش - ودروسه. وذهاب ديناره وفلوسه، وأنه كبير الفوائد كثير الفرائد لما فيه من معرفة المرء أخبار وطنه وأسلافه وطبقاتهم وتواريخهم ووفياتهم، فاستعنت بالله سبحانه في كتب مارأيت من ذكر ملوك السودان أهل سنغاي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر تمبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، وذكر بعض العلماء والصالحين الذين توطنوها وغير ذلك إلى آخر الدولة الأحمدية الهاشمية العباسية، سلطان مدينة الحمراء مراكش[1]. وبدأ بعد ذلك بالحديث عن العلماء والمصلحين في أمبراطورية سنغاي الإسلامية.

والقسم الأكبر من الكتاب خصصه السعدي للحديث عن حكم الباشوات من المغاربة في سنغاي، ولذا يعتبر كتابه من أوفر المراجع في بلاد السودان في تلك الفترة[2].

وقد قسم السعدي كتابه إلى ثمانية وثلاثين بابا؛ من الباب الأول إلى الرابع خصصه للحديث عن مالي وبداية سنى على ملك سنغاي والباب الخامس والسادس خصصهما للحديث عن مدينة جنى وعلمائها وصلحائها، ومن الباب السابع حتى الحادى عشر لمدينة تمبكت وعلمائها والحركة العلمية والثقافية المزدهرة فيها ورحلات العلماء منها وإليها.

والباب الثاني عشر عن حياة سنى على ملك سنغاي وقوته واستيلائه على سائر البلدان وعلى تمبكت.

ومن الحادي والعشرين حتى السابع والعشرين خصصها للحديث عن ملوك الأساكي وعدلهم ونشرهم للإسلام والعلم وتشجيع العلماء.

وبقية الأبواب إلى آخر الكتاب في أخبار احتلال المراكشيين لبلاد السودان وما

---

(١) انظر تاريخه ص ٢.

(٢) راجعه تاريخ السودان.

حل بالبـلاد من الكـوارث وانـدراس العلم وتفشي الجهل والظلم. وأما أسلوب الكتـاب فهـو مفكـك وعباراته غير مستقيمة غالبا وعدم ارتباط الأفكار واستعمال التـراكيب الضعيفة والكلمات العامية أحيانا، وهذا يدل على أن الحركة العلمية والثقـافية والأدبية واللغـوية التي ازدهـرت في عهـد الأسكيين آلت إلى الضعف والتفكك وأصابها ما أصاب البلاد والعلماء.[1] إن هؤلاء الأعلام الذين ذكرنا تراجم بعضهم من العلماء والفقهاء أثروا الحياة العلمية والثقافية في السودان الغربي كله وفي تمبكت بصفة خاصة ولأصحاب هذه التراجم وغيرهم ممن لم يسع الوقت لذكر تراجمهم أهمية بالغة في إزدهار الثقافة العربية الإسلامية في تلك البلاد.

أهم النتائج التي نستنتجها من تراجم هؤلاء الأعلام حول تطور الحركة العلمية والثقافية في السودان الغربي في عهد إمبراطورية سنغاي ومالي

١ ـ أن الحـركة العلمية والثقافية كانت على درجة عالية من الازدهار بمقاييس ذلـك العصر في تمبكت وبقية المـراكـز الثقافية في السودان الغربي وخاصة في عهد إمـبراطـورية سنغـاي وأنها كانت تشبـه في جميع جوانبهـا ما كان موجودا في البلاد الإسلامية الأخرى في المغرب ومصر والحجاز والشام، من تضلع الأساتذة في أنواع المعارف الموجودة في ذلك الوقت وحدبهم على التدريس وإقبال جموع الطلبة على الأخذ من الفقهاء والعلماء.

٢ ـ أن المستوى الثقافي والعلمي والفكري لدى الفقهاء والعلماء في تمبكت لايقل عن المستوى الذي كان سائدا آنذاك لدى فقهاء العالم الإسلامي في المشرق والمغرب. وهناك قصة شاهدة على ذلك ورواية مشهورة متواترة تدل على رسوخ قدم علماء تمبكت في العلم والتعليم الإسـلامي: وهي أن الفقيه عبـد الرحمن التميمي المكي الذي

---

(١) انظر تاريخ السودان وتاريخ الفتاش ومملكة سنغاي وتاريخ التعليم الإسلامي في معاهد غرب افريقيا لمهدي رزق الله.

استقدمه السلطان منسى موسى معه أثناء عودته من حجته من الحجاز ليقوم بالتعليم والتدريس في جامعة تنبكت ومعاهدها[1] . لما وصل إلى مدينة تمبكت وسكنها وجدها حافلة بالفقهاء والعلماء الذين فاقوه في العلم فاضطر ليرحل إلى فاس . وتفقه هناك ثم رجع إلى تمبكت مرة أخرى ليمارس التدريس . وكان الفقيه عبد الرحمن التميمي من العلماء المشهود لهم بالكفاءة العلمية العالية . وكان العلامة الفقيه يحيى التادلسي يقول لطلبة جامعة سنكري ياأهل سنكري كفاكم في العلم سيدي عبد الرحمن التميمي[2] . وقد أورد الدكتور عبد العزيز أمين عبد المجيد أدلة في كتابه ـ التربية في السودان[3] . على تفوق علماء تمبكت على علماء سنار في مجال العلم والمعرفة فيما بين القرنين التاسع والثاني عشر الهجريين، (والخامس عشر والثامن عشر الميلاديين) . وأتى بنماذج على هذا التفوق في عدة مجالات تخصصية[4] .

٣ ـ فيما يتعلق بتطور الحركة الفكرية بالسودان الغربي في أيام السنغاي نلاحظ أن الأبحاث التي كانت نشيطة هي العلوم الشرعية واللغوية وهذه العلوم ظلت تتصف بالاستيعاب دون أن تتجاوزه إلى الانتاج المستقل إلا أنه إذا كان قارىء هذه التراجم يخرج بنتيجة وهي أن أصحابها في الغالب الأعم كانوا مرددين لما قاله من قبلهم حيث انحصرت معلوماتهم في المتون والشروح والحواشي والتعاليق ولم يكن لهم انتاج مستقل في الأغلب إلا أن قارىء هذه التراجم سوف لاينسى فضل هؤلاء العلماء السودانيين المرددين ما قاله من قبلهم لمساهمتهم مساهمة فعالة في ازدهار الثقافة الإسلامية العربية وقاموا بجهد كبير في رفع مستوى التعليم الإسلامي إلى أعلا مستوى موجود في ذلك العمر. على رغم عيشهم في مناطق نائية ومنعزلة عن مراكز الثقافة الإسلامية الكبرى في المغرب وتونس والقاهرة والحجاز وبلاد الشام والعراق. ولايستطيعون الوصول إليها إلا بشق الأنفس. فجزاهم الله ثواباً جزيلا لما قدموه في سبيل إعلاء كلمة الله وخدمة دينهم وأمتهم .

---

(١) تاريخ السودان ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) ص ١٥٨ـ١٥٩ .

(٤) وانظر تاريخ التعليم الإسلامي في معاهد غرب افريقيا من القرن ٨ـ١٣هـ .

٤ ـ اعتنى علماء وفقهاء تمبكت بجمع الكتب والمخطوطات وكانوا يبذلون الغالي والنفيس في سبيل اقتنائها شراء ونسخا حتى اشتهرت تمبكت عالميا ببيع الكتب والمخطوطات وأصبح التجار عن طريقها يتحصلون على أكبر ربح على الإطلاق ربحا يفوق بكثير مايتحصلونه من السلع الأخرى .

وكانت جامعة سنكري قد تمتعت بسمعة كبيرة جدا وتجاوزت سمعتها حدود بلاد السودان، كما أن شهرة أساتذتها تجاوزت حدود السودان إلى شمال أفريقيا والمغرب ومصر، حتى دعي بعضهم للتدريس في جامعة الأزهر وفاس[1] . وقد ساد في هذا العصر فن الخطوط وعرف الأفريقيون الورق، وكان عند الملك داود ملك سنغاي مكتبة ضخمة ونساخ ينقلون له المخطوطات، وقد بلغ من حب هذا الملك للكتب، أن اشترى قاموسا بمبلغ ثمانين مثقالا من الذهب[2] .

(١) ملكة سنغاى ص ١٣٨ .

(٢) المثقال الذهبي يساوى ستة غرامات وكان نقدا رائجا في تلك البلاد أيام ازدهار امراطورية سنغاي . انظر حضارة الإسلام وحضارة أوربا في افريقيا الغربية ص ١٦٣ لنعيم قداح وتاريخ السودان والفتاش ص ٩٤ .

الحركة الثقافية والفكرية في مدينة جنّي[1] من القرن السادس حتى القرن الحادي عشر الهجريين

ومدينة جنى هي من أهم المراكز الثقافية الإسلامية في السودان الغربي[2]، وقد ازدهرت الثقافة الإسلامية في مدينة جني منذ وقت مبكر وتوافد عليها العلماء وأسسوا فيها مساجد واتخذوها مدارس لتعليم الأهالي القرآن والعلوم الإسلامية واللغة العربية وعلومها. فازدهرت فيها الثقافة ازدهارا بعيد المدى يضاهي مدينة تمبكت[3] . وتقع مدينة جني في موقع ممتاز في جزيرة وسط المياه على أحد روافد نهر النيجر على هضبة صخرية سهل فسيح تغطيه المياه في الخريف ثلاثة أشهر من فيضان نهر النيجر[4] . وهى على مسيرة مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من تمبكت . وهي مدينة قديمة جدا قبل تمبكت في التأسيس، وربما كان تأسيسها قبل القرن الأول من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أو بعد ذلك والله أعلم. وفي القرن الثاني عشر الميلادي أصبحت جنى ثالث مدينة من حيث الأهمية التجارية في السودان الغربي كله، بعد كل من تمبكت وغاو[5] .

والذي يهمنا من جوانب هذه المدينة هو الجانب الثقافي وما وصلت إليه من تطور ثقافي وفكري خلال قرون الازدهار العلمي والثقافي في السودان الغربي أما الجانب الثقافي لهذه المدينة فقد كانت تحتل الدرجة الثانية في الأهمية الثقافية والفكرية بعد

---

(١) ذكر بعض المؤرخين ثلاثة آراء حول اسم جني فالأول يقول : جنى هو أصل الكلمة وقيل غينيا مشتقة من غانا ميناء قديم على ضفاف نهر النيجر شمال مدينة فاو كادوس. وقيل غينيا هي غانة ويقول المؤرخ الفرنسي راموني: والأصح في هذا الأسم أن يقال: دينى قلت: والأصح أن أسم هذه المدينة :جني وهو الاسم الذي ورد في المصادر الأصلية التي عليها الاعتماد مثل نيل الابتهاج لأحمد بابا وتاريخ السودان، وتاريخ الفتاش. وهذا الاسم هو المشهور الآن .

(٢) تاريخ السودان ص ١١-١٢ .

(٣) انظر تاريخ السودان ص ١١ ـ ١٢ .

(٤) وصف افريقيا ص ٥٢٨ للحسن الوزان وتاريخ السودان ص ١٢ .

(٥) مملكة سنغاى ص ١٠٦ . ودولافوس ـ أعالي السنغال والنيجر ص ٢٧٧، وتاريخ السودان ص ١١-١٢ .

مدينة تمبكت لذلك كان سلاطين آل أسكيا يهتمون بها ويعينون لها قضاة صالحين ويساعدون القاضي على بناء مأوى لطلاب العلم وبناء المساجد، وكان فيها كثير من العلماء والفقهاء وطلاب العلم[1] . وقد وصفها السعدي بالخير والبركة وكثرة العلماء فقال: وهي مدينة عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة ورحمة جعل الله ذلك في أرضها خلقا وجبلة، وطبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة[2]، ويذكر السعدى أن هذه المدينة ابتدأت في الكفر في أواسط القرن الثاني من الهجرة. ولعل سائلا يسأل على أي دين كانت هذه المدينة قبل أن تبدأ في الكفر، على حد كلام السعدي كانت على اليهودية أم على النصرانية؟ والله أعلم وهاتان الديانتان كانتا موجودتين في المنطقة قبل الإسلام وخاصة اليهودية. ولعل السعدي يقصد أن مدينة جني هذه قد بدأت منذ نشأتها في منتصف القرن الثاني الهجري كافرة، وليست كمدينة تمبكت التي نشأت على الإسلام. وهذا هو مقصوده ـ والله أعلم ـ لأنه بعد ذلك شرع في ذكر تاريخ دخولها في الإسلام[3]، وعلى هذا يكون تأسيس هذه المدينة في القرن الثاني الهجري ولكن الروايات المحلية تدل على أنها كانت قبل ذلك التاريخ، والله أعلم بالحقيقة .

ويبدو مما ذكره السعدي وغيره في إسلام ملك هذه المدينة :ـ أن الثقافة الإسلامية كانت قد تسربت إلى هذه المدينة قبل أن يدخل ملكها في الإسلام وازدهرت فيها الثقافة وانتشر الإسلام بين أهلها. وعندما أراد ملكها أن يسلم كانت تعج بعلماء المسلمين وكان تأثير هؤلاء العلماء على الأهالي كبيراً جداً ويلاحظ ذلك من ضخامة عدد العلماء الذين جمعهم الملك عندما أراد الدخول في الإسلام، فقد ذكر السعدي أن سلطان هذه المدينة واسمه ـ السلطان كنبر ـ أسلم في القرن السادس الهجري، وأنه عندما عزم على الدخول في الإسلام أمر بحشد جميع العلماء الذين كانوا في أرض المدينة فحصل منهم أربعة الآف ومائتا عالم فأسلم على أيديهم[4] . قلت : ومهما يكن في هذا العدد الذي ذكره السعدي من مبالغة فإنه يدل على وجود أهل العلم من

(١) انظر تاريخ السودان ص١٦-١٧.

(٢) تاريخ السودان ص ١١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢ .

(٤) المرجع السابق ص ١٢-١٣.

العلماء والفقهاء بكثرة في هذه البلاد. ويدل أيضا على أنه لم يصلنا من آثارهم إلا قليل مما ذكره أحمد بابا والسعودي وكعت. ولعل الفتن التي سببتها حروب الدمار التي شنها المراكشيون على بلاد السودان هي التي قضت على آثار أولئك العلماء، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وعند إعلان ملك جني كنبر إسلامه اشترط على العلماء أن يدعو للمدينة بثلاث دعوات قال السعدي: «وأمرهم أن يدعوا الله تعالى بثلاث دعوات لمدينة جني وهي :

١ ـ أن كل من هرب إليها من وطنه ضيقا وعسرا أن يبدلها الله له سعة ويسرا حتى ينسى وطنه ذلك .
٢ ـ وأن يعمرها بغير أهلها أكثر من أهلها .
٣ ـ وأن يسلب الصبر من الواردين إليها للتجارة في ذات أيديهم لكي يملوا منها فيبيعونها لأهلها بناقص الثمن فيربحون بها. فقرأوا الفاتحة على هذه الدعوات الثلاثة فكانت مقبولة وهي كائنة إلى الآن بالمشاهدة والمعاينة، وقد استجاب الله تعالى للسلطان كنبر ودعوات العلماء لتلك المدينة.

وقد أكد السعدي أن آثار تلك الدعوات كائنة حتى في أيامه[1]، وكان يعيش في القرن السادس عشر الميلادي بينما تم إسلام أهل جني كلهم والملك والدعوات الثلاثة في القرن الثاني عشر الميلادي. وذكر السعدي أن الملك عندما أسلم قام بهدم القصر الملكي الذي كان يسكنه (دار السلطنة) وبنى مكانه مسجدا جامعا لأهل جني وشيد قصرة الملكي بقرب المسجد الجامع[2] .

قلت وهذه الرواية التي يرويها السعدي في قصة إسلام ملك جنى وما جمعه من العلماء عند عزمه على الدخول في الإسلام ومايلي ذلك من أعمال خيرية قام بها الملك كل ذلك يفيد بمالا يقبل الشك أنه كان هناك مجتمع إسلامي قوي في جنى وأن في هذا المجتمع الإسلامي عددا كبيرا من العلماء والفقهاء. ومجتمع هذا شأنه لابد أن

(١) تاريخ السودان ص ١٣ .
(٢) المرجع السابق ص ١٣ .

يكون عريقا في الإسلام منذ زمن بعيد، ويستنتج من ذلك أن الذي أسلم في القرن السادس الهجري هو الملك وحاشيته وبعض الرعية، وأما السواد الأعظم من السكان فقد دخلوا في الإسلام قبل القرن السادس الهجري بكثير. وهذا يوضح لنا مكانة جني كمركز ثقافي تعليمي هام جدا في السودان الغربي منذ وقت مبكر قبل إسلام ملكها ثم ازدهرت الثقافة الإسلامية فيها وقوى مركز الإسلام رسميا وذاعت شهرة علمائها بعد إسلام الملك كنبر وبناء مسجد جامع للصلاة والتعليم .

وقد ظلت شهرة مدينة جني بالدين والعلم والثقافة الإسلامية وكثرة العلماء الوافدين مستمرة حتى بداية الاحتلال المراكشي لها، ونافست تمبكت في هذه النواحي .

تاريخ الحكم في مدينة جني وحركة العلم والثقافة فيها تحت ظل الحكومات التي مرت عليها

وقد ظل الحكم في جني في بداية الأمر ينحصر في نطاق السكان المحليين من القبائل وقاموا بنشاط كبير في نشر الثقافة الإسلامية في المدينة وبنوا بعض المساجد ومهدوا السبل أمام العلماء للقيام بالتدريس في تلك المساجد .

ثم استولى عليها ماري جاطة الذي حكم مالي من ١٢٣٠ ـ ١٢٥٠م المؤسس الحقيقي لإمبراطورية مالي[١]. وضمها إلى مالي ومن ثم أصبحت أهم أسواق قبائل الغولة والولوف والسركولة وأهالي تكرور الغربي وعرفت بعمل القماش[٢] .

ثم استولى عليها ملك سنغاي سنى علي سنة ١٤٧٣م في القرن التاسع الهجري وضمها إلى إمبراطورية سنغاي وضمها فعليا وظلت تحت حكم سنغاي إلى أن غزا المراكشيون السودان واستولوا عليها في أواخر القرن العاشر أو أوائل الحادي عشر

---

(١) دولة مالي الإسلامية ص ١٩ والإسلام والمسلمون في غرب افريقيا ص ١٥٤ـ١٥٥ د/عبد الرحمن زكي .
(٢) الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا ص ١٥٤ واحتفظت القيادات المحلية بالحكم تحت سلطة مالي .

الهجري[1]، وقد ازدهرت العلوم والثقافة الإسلامية في مدينة جني تحت حكم سنغاي في عهد حكم آل أسكيا وتعاظم سكانها وكثر التجار بها وزهرت بالعلم والعلماء وازدهر فيها التعليم والثقافة ازدهارا بعيد المدى حتى دانت تمبكت في الأهمية، واستمرت معاهد العلم والثقافة ومساجدها التي تحولت إلى معاهد للعمل تؤدي دورها في خدمة العلم والثقافة الإسلامية حتى غزتها جيوش مراكش فقضت على كل شيء فيها من العلم والعلماء وفقدت مركزها الثقافي والتجاري وحل بها ما حل بتمبكت[2] .

وكانت مدينة جني أمدا طويلا على جانب كبير من الأهمية الثقافية والاقتصادية وقد نعمت بالطمأنينة والأمن تحت حكم سنغاي وتضاعف نشاطها التجاري ورسخت قدمها في الثقافة الإسلامية، وكان أسكيا محمد أول من عين القضاة فيها للفصل بين الناس وفق الشريعة الإسلامية[3] . وذكر السعدي (أن أول قاضي عينه أمير المؤمنين أسكيا محمد في جني هو الفقيه فودي محمود سانوا الونكري وهو أول قاضي يقضي فيها بين الناس بالشرع، وقبل لايتفاصل الناس إلا عند الخطيب بالصلح)[4] .

وفي هذا العهد أصبحت جني مركزا إسلاميا وعلميا وثقافيا مباركا. وقد وصفها السعدي بكثرة العلماء الواردين إليها من غير أهلها وقال. وقد ساق الله لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير أهلها من قبائل شتى وبلاد شتى .
ثم ذكر عددا كبيرا منهم ممن لهم دور كبير ازدهار الثقافة الإسلامية فيها[5] .

(١) التعليم الإسلامي في معاهد غرب افريقيا ص ٢٢٨ ومملكة سنغاي ١٠٧ وانظر التأثير الإسلامي ص ٢٨٤-٢٨٥، وتاريخ السودان ص ١١-٢٠ والفتاش وتذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمؤلف مجهول ولكنه من تمبكت ثم نسى ذكر أسمه أو من النساخ .

(٢) المراجع السابقة .

(٣) تاريخ الفتاش ص ٥٩ وتاريخ السودان ص ١٨ .

(٤) تاريخ السودان ١٨ .

(٥) تاريخ السودان ص ١٦ .

الثقافة الإسلامية في جني وفقهاؤها

أشهر معهد لتعليم الثقافة الإسلامية وسائر العلوم الاسلامية والعربية هو المسجد الجامع الذي بناه سلطان جني كنبر في القرن الثاني عشر الميلادي وقد تقدم ذكره. وهذا المسجد منذ تأسيسه أصبح مركزا ومعهدا للدراسات الإسلامية واللغوية وكان يضاهي معاهد تمبكت[1].

وكانت بجني المدارس لتعليم القرآن الكريم ومبادىء الدين وبعض المعاهد التعليمية المنفصلة عن المسجد إلى جانب التعليم والتدريس في مساجد المدينة كمعاهد تعليمية، وعندما دخل الاستعمار الفرنسي كانت فيها خمس عشرة مدرسة - غير الكتاتيب لتعليم الصغار القرآن الكريم - وكثير من الكتب الدينية والعربية[2].

وقد ذكر السعدي - كما تقدم - عددا كبيرا من الفقهاء والعلماء الذي يقومون بنشر الإسلام بين الناس في تلك المدينة وتعليمهم الثقافة الإسلامية عند إسلام سلطانها ولكن السعدي لم يسجل لنا جميع أسماء هؤلاء العلماء والفقهاء الذين قاموا بهذا الدور العظيم في جني، ولعل السبب يرجع إلى البعد الزمني بين عصره وعصر أولئك العلماء، لأنه عاش في القرن الحادي عشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وعاش العلماء الذين اكتفى بذكر عددهم قبله بحوالي خمسة قرون ونيف.

وأما علماء جنى الذين عاشوا إلى زمن قريب من عصر السعدي أو الذين هاجروا إلى مدينة جني منذ منتصف القرن التاسع الهجري فقد تحدث عنهم وعرض لسيرة بعضهم[3].

(١) أنظر تاريخ السودان ص ١٢-١٣ والتعليم الاسلامي في معاهد غرب أفريقيا من القرن الثامن حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري ص ٢٣٠ وما بعدها.

(٢) وهذه المدارس والمعاهد والمكتبات في جنى عند دخول الاستعمار كانت قائمة ونشطة ولاتزال آثارها قائمة إلى اليوم، وقد حدثنا عن ذلك بعض الشيوخ الذين شاهدوا الاستعمار الفرنسي عند استيلائه على تلك المدينة وما ارتكبوه ضد الدين والتعليم الاسلامي واللغة العربية.

(٣) انظر تاريخ السودان ص ١٢-١٣-١٦. والاسلام في نيجيريا ص ٥٧. لآدم الألورى.

أشهر العلماء والفقهاء في مدينة جني الذين أثروا الحياة العلمية والثقافية في المنطقة ولهم دور بارز في ازدهار الثقافة الإسلامية في جني

وهم :

١ ـ الفقيه : مور كنكـــي :

وهو أول من ذكره السعدي من العلماء الوافدين على جني كعالم بارع في تدريسه ومتمكن من معلوماته [١] .

وهو مور مغ كنكي رحل من قريته إلى كابرا لتلقي العلم من علمائها ثم رحل إلى جني بعد أن تلقى تعليمه في كابرا [٢] . وذلك في منتصف القرن التاسع الهجري كما يقول السعدي [٣] . أي في فترة تولي أسكيا موسى بن محمد أسكيا أمير المؤمنين الحكم ١٥٢٨ ـ ١٥٣١م/ ٩٣٥ ـ ٩٣٨هـ ولكن الذي يبدو من كلام السعدي نفسه أنه كان موجـودا في جنى قبل التاريخ الذي ذكره أي قبل تولي أسكيا موسى بن أمير المؤمنين الحاج محمد أسكيا عرش سنغاي والدليل على ذلك ماذكره السعدي من أن الشيخ الفقيه مور كنكي خرج مع طلبته من جنج لمقابلة أسكيا موسى أثر عودته من حملته ضد أخيه عثمان الذي كان ينازعه السلطة بعد عزل موسى والده أسكيا محمد من الحكم، وكـان سبب خروج الفقيه مور مغ لمقـابلة موسى هو طلب العفو عن قائدين من الذين كانوا في صف عثمان. قال السعدي : (تلقاه الفقيه مور مغ كنكي مع الطلبة خرجوا من جنج فسلم عليه ودعا له على عادتهم ، ثم قال له الشيخ نطلب منك في حق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أن تعفوا عن درمكي وبركى ،

---

(١) تاريخ السودان ص ١٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

(٣) المرجع السابق في الصفحة نفسها .

وهما باران لأهل أرضهما راضين عنهما جدا، وما دخلا في الفتنة بغرضهما، بل بالخوف على أنفسهما)[1] .

وعلى هذا يكون قدوم الفقيه من كابرا إلى جني في نهاية القرن التاسع الهجري أو في أول القرن العاشر الهجري في عهد أمير المؤمنين أسكيا محمد. فلقدومه إلى جني في وقت مبكر ذكره السعدي قبل الفقيه القاضي محمد سانوا الونكري الذي ولاه أسكيا محمد قضاء جني كما سيأتي .

وذكر السعدي أن مور مغ كنكي كان فقيها عالما بارعا في العلم صالحا عابداً جليل القدر[2] . وأنه فور وصوله إلى مدينة جني تقاطر عليه الطلبة وأسرعوا إليه للاستفادة منه ولينهلوا من العلم الذي عنده وكان نشطا في أداء رسالة العلم ونشر الثقافة الإسلامية وكان يباشر التعليم والتدريس بالمسجد الجامع بانتظام دائم يخرج من داره في منتصف الليل إلى مقر إلقاء دروسه في المسجد الجامع بجنى فيْجلس الطلبة حوله يأخذون عنه العلم ويتلقون الدروس حتى إقامة صلاة الصبح، ثم يعودون إليه بعد الصلاة فيستمر معهم إلى وقت الزوال، ثم يعود إلى داره لأخذ قسط من الراحة ليعود إلى حلقة الدروس بعد صلاة الظهر ويجلس مع طلبته حتى صلاة العصر. وكان مواظبا على هذه الحال مع طلبته[3] . حتى علم أن هناك من لايرغب في وجوده بجني فارتحل عنها .

وذكر السعدي سبب رحيله من جني فقال : (إنه كان يصلي صلاة الصبح مع الجماعة ذات يوم فسمع رجلا بجانبه يقول في سجوده: اللهم أن مور مغ كنكي ضاق علينا البلد أرحنا منه. فلما سلم قال يارب لا أعرف مضرتي للناس حتي يدعى علي فارتحل يومئذ من جني إلى كونا فنزل فيها، وسمع بخبره أهل جنج فبعثوا له القارب وارتحل فسكن في جنج إلى أن توفي فيها رحمه الله تعالى)[4] .

---

(١) تاريخ السودان ص ٨٤ وعبارة: وهما باران لأهل أرضهما راضين عنهما جدا» جاءت هكذا في تاريخ السعدي لعله يقصد أن الناس راضون عنهما لحسن سيرتهما وإحسانهما إلى الناس والله أعلم .

(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

(٣) المرجع السابق بالصفحة نفسها .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

وكـان الفقيه مور كنكي علماً من أعـلام الثقـافة الإسلامية في مدينة جني وفي السـودان الغربي كله وكان له أثر في انتشار الثقافة الإسلامية واللغة العربية ونمو الحركة الفكرية في البلاد وأثر في حياة جني العلمية تأثيرا قويا، ولايزال ذكره عالقا في أذهان أهالي المنطقة رحمه الله رحمة واسعة .

٢ ـ القاضي محمد سانوا الونكري[١] .

هو الفقيه فودي محمد سانوا الونكري، كان فقيها عالما عابدا صالحا. قدم إلى مدينة جنى في أواخر القرن التاسع الهجري[٢]. وكان أول سكنه في قرية قريبة من مدينة جنى تسمى طورا، ويأتي من هذه القرية إلى مدينة جنى في كل جمعة لأداء صلاة الجمعة بمسجدها الجامع حتى أحبه السلطان وأهالي جني وتألفت قلوبهم معه . وعنـد ذلك طلب منه سلطان جنى أن يسكن في جني بدلا من قرية طورا، فقبل الطلب. وتمكن بعد ذلك من التأثير على السلطان بمواعظه وقوة حجته حتى حمله على تخريب بيت الصنم الذي كان يعبده الذين بقوا على وثنيتهم من قوم السلطان، وبنى في مكان الصنم دارا لإقامة الفقيه محمد سانوا الونكرى، وأحاطه السلطان بمظاهر التبجيل والاحترام، وأصبح بعد ذلك من أهل الشفاعة لديه على الرغم أنه لايخالط السلطان أبدا ولا يزوره في داره ولا يجالس أفراده وكانوا يطلبون منه زيارة السلطان ولكنه يرفض ذلك مما يدل على مكانته العلمية وقدره هو وأمثاله من علماء السودان في ذلك الوقت الذين رفعوا مكانة العلم بالبعد عن مجالس السلاطين وعدم الخضوع لهم[٣] ولم تكن مكانة الفقيه محمد العالية في مدينة جني وما حواليها فقط بل تعدت شهرته العلمية وصلاحه إلى مدينة تمبكت مركز الثقافية الإسلامية والعلماء. فعندما زار القاضي الفقيه شيخ الإسلام/ محمود بن عمر بن محمد أقيت عالم بلاد السودان وإمامها بلا مدافع عندما زار مدينة جني في مطلع القرن العاشر الهجري التقى بهذا

---

(١) تاريخ السودان ص ١٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

(٣) تاريخ السودان ص ١٦-١٧-١٨ .

العالم الفقيه فأعجب بعلمه وصلاحه. فأثنى عليه لما رجع إلى تمبكت[1]. ونقل ما رآه من حاله من علمه وصلاحه إلى مسامع الحاج أسكيا محمد فولاه قضاء مدينة جني بعد عودته من الحج[2]. حوالي سنة ٩٠٤هـ. وكان أول قاض شرعي يفصل بين الناس بالشرع، وتوليه منصب القضاء في جني نقطة تحول في تاريخ القضاء الإسلامي في هذه المدينة حيث لم يكن الشرع قبل تعيينه قاضيا يطبق عند الفصل بين الناس في خصوماتهم وسائر القضايا، بل كان الناس قبل تعيينه يترافعون بخصوماتهم وقضاياهم إلى خطيب المسجد الجامع الكبير فيسعى بينهم بالصلح[3]. ولم يعرف منصب القاضي في جني إلا عندما نصب أسكيا محمد هذا الفقيه العالم الونكري قاضيا، ومرد ذلك كله إلى مكانته العلمية العالية وشهرته بالصلاح في المدينة وقوة تأثيره في أهلها[4].

والفقيه محمد سانوا من العلماء الذين تركوا آثاراً جلية في ازدهار الحياة العلمية في مركز جني الثقافي وأثروا الثقافة الإسلامية فيها وفي السودان الغربي كله وطبعوها بطابع المذهب المالكي وعقيدة السلف الصالح.

٣ ـ الفقيه القاضي الصالح : محمود بغيع[5] :

هو قاضي مدينة جني الفقيه العلامة محمود بن أبي بكر بغيع جنوى بلدا ومسكنا، ونكرى أصلا[6]. كان فقيها عالما جليلا، وهو والد العالمين الفاضلين الصالحين: الفقيه محمد بغيع عالم تمبكت وفقيهها الذي تقدم الحديث عنه ودوره في ازدهار الثقافة الإسلامية في تمبكت. والفقيه أحمد بغيع[7].

---

(١) تاريخ السودان ص ١٨ والتعليم الاسلامي في معاهد غرب افريقيا ص ٢٣٤.

(٢) تاريخ السودان ص ١٨ وتاريخ الفتاش ص ٥٩.

(٣) تاريخ السودان ص ١٨.

(٤) انظر المرجع السابق ص ١٧ـ١٨.

(٥) نيل الابتهاج ص ٣٤١ وصفه أحمد بابا بالفقه والصلاح. وتاريخ السودان ص ١٩. وفتح الشكور ص ١١٣ وقال: لا أعرف تاريخ وفاته.

(٦) تاريخ السودان ص ١٩، وفتح الشكور ص ١١٣.

(٧) أنظر نيل الابتهاج ص ٣٤١، وتاريخ السودان ص ١٩، وفتح الشكور ص ١١٣.

تولى الشيخ محمود بغيع قضاء جنى في العام التاسع والخمسين بعد التسعمائة من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الموافق سنة ١٥٥١م ولاه القضاء السلطان أسكيا اسحاق بن أسكيا الحاج محمد، بعد وفاة القاضي العباس كب، والقاضي محمود من العلماء الذين قاموا بدور عظيم في نشر الثقافة الإسلامية وخدمة الإسلام في غرب افريقيا. وكانت أسرة بغيع عامة من الأسر العلمية المشهورة في تاريخ التعليم والقضاء ونشر الإسلام في غرب افريقيا عامة وتمبكت وجنى بصفة خاصة[١].

ويلاحظ أن العلماء الذين من الأصل الونكري كانوا كثيرين في مدينة جنى ولهم أثر بارز في نشر الإسلام في السودان الغربي وخاصة في نيجيريا وقد سبق ما ذكره بعض المصادر من أن الإسلام انتشر في بلاد هوسا عن طريق الدعاة من علماء الونكري أو الونغار كما تسميهم المصادر النيجيرية وأنه قد هاجرت قافلة من علماء الونكري مكونة من ثلاثة آلاف وستمائة وثلاثين شخصا مابين عالم وقارىء من مالي إلى نيجيريا[٢]..

وذكر صاحب الثقافة العربية في نيجيريا أن أخبار كانو أفادت بأن الوفد المالي في علماء ونكري الذين وصلوا إلى نيجيريا لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية سنة ١٣٤٩م كان عددهم أربعين رجلا[٣]. ومهما يكن العدد فإن علماء ونكرى قاموا بدور نشط في نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية في غربي افريقيا كله.

وكان القضاة في جني في عهد إمبراطورية سنغاي عهد الازدهار والأمن والاستقرار وانتشار الإسلام والثقافة الإسلامية من الونكريين، وآخر القضاة السودانيين في جني كان ونكريا وهو القاضي محمد بنب كنات[٤].

وذكر السعدي أشهر الفقهاء الذين تولوا القضاء في مدينة جنى في عهد إمبراطورية سنغاي الإسلامية وهم على الترتيب كما ذكرهم :

---

(١) انظر تاريخ السودان ٤٣-٤٤-٤٥-٤٦ وقبلها ص ١٨-١٩ وانظر نيل الابتهاج ص ٣٤١-٣٤٢.

(٢) انظر الجهاد الاسلامي في غرب افريقيا ص ٣٣.

(٣) انظر كتاب الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠-١٩٦٠م ص ٣٨ والإسلام في نيجيريا ص ٣٢.

(٤) تاريخ السودان ص ١٩.

القاضي محمد فودي سانو الذي تقدم الحديث عنه أول قاض تولى منصب القضاء في جني ثم القاضي فوك، ثم القاضي كناجي، ثم القاضي تنتاع، ثم القاضي سنقم، ثم القاضي العباس كب وقال عنه إنه من أهل جنى وكان فقيها عالما جليلا فاضلا خيرا له قدم راسخ في السخاء والعلم[1] . ثم القاضي محمود بغيع، ثم القاضي عمر ترف، ثم القاضي تلماكلس، ثم القاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف. وقال عنه أنه جنوي الأصل والبلد، وكان خطيبا ثم جعل إمام الجامع ثم قاضيا فجمع المراتب الثلاث ثم مشى للحج واستناب الخطيب ماما على الخطبة. والإمام يحيى على إمامة الجامع، والقاضي مودب بكر تروري على القضاء فتوفي هناك[2] .

ثم القاضي مودب بكر تروري وقال عنه : إنه كلوي أصلا من أولاد سلاطينها فزهد في السلطنة وخدم العلم فبارك الله في علمه ونال بركته[3] . ثم القاضي محمد بنب كنات، ووصفه السعدي بأنه كان فقيها عالما جليلا ونكري الأصل تولى القضاء بعد وفاة القاضي بكر تروري. وقال : وهو آخر القضاة في دولة السودانيين وهؤلاء - أي الذين تقدم ذكرهم من القضاة - من علماء مدينة جني المشهورين ولم نوردهم في هذا الكتاب إلا لأجل شهرتهم بالعلم[4] .

وقال بعد ذكر أسماء هؤلاء القضاة بالترتيب المتقدم (فهؤلاء قضاة من أول دولة أسكيا الحاج محمد إلى آخرها[5] ، وأما الفقهاء الذين تولوا القضاء في هذه المدينة بعد انهيار دولة سنغاي الإسلامية واستيلاء المراكشيين عليها فأغلبهم من أصل مغربي. وأما العلماء الذين سكنوا فيها من غير السودانيين فقد ذكر السعدي بأنهم

---

(١) تاريخ السودان ص ١٩ .

(٢) تاريخ السودان ص ١٩-٢٠ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩-٢٠ .

(٤) المرجع السابق ص ١٩ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٠ الإفتاء والقضاء منصبان علميان عظيمان لايتبوأهما إلا شيوخ العلم، وكان القاضي في عهد ملوك السودان الوطنيين يتمتع بسلطة تفوق سلطة الملك نفسه. وكان الملك لايبرم أمرا في عهد آل أسكيا من ملوك سنغاي إلا بمشورة القاضي وكان القاضي لايحاسب على خطأ وكذلك أعوانه. لذلك كان منصب القضاء منصبا عظيما لايتولاه إلا من اشتهر بالعلم والصلاح والورع والتقوى .

كثيرون في عهد حكم الدولة المراكشية[1]. وبهذا العرض التوضيحي للحركة الثقافية والفكرية والحياة التعليمية في مراكز الثقافة الإسلامية الرئيسة : غاو، وتمبكت وجني في السودان الغربي والفقهاء الذين قاموا بدور بارز ونشط فيها أيام ازدهار الإمبراطوريتين الإسلاميتين مالي وسنغاي نصل إلى أن الأهداف الأساسية من وراء حركة علماء السودان التعليمية في تلك المراكز الثقافية هي :

أولا : هدف ديني عقدي وهو معرفة الله سبحانه وتعالى وما يجب على العبد من وجوب الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه وتعالى وما يتعلق بذلك من الإيمان برسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره. ومعرفة ما أوجبه الله على عباده من عبادات كالصلاة والصوم والحج والزكاة وبيان ما نهى الله عنه من المحرمات مثل شرب الخمر وقول الزور وقتل النفس بغير حق . .

وقد أدرك العلماء والفقهاء في السودان الغربي في ذلك العهد أن الإنسان عندما يعرف ربه وكيفية عبادته ويتخلق بأخلاق الإسلام يصبح فردا صالحا في مجتمع صالح . لذلك كانوا المثل الأعلى في تطبيق أحكام الشريعة على أنفسهم قبل أن يأمروا تلاميذهم بها والقدوة الصالحة في تدريسهم وتعليمهم وتوجيههم لأولئك التلاميذ. وعامة المجتمع السوداني .

ثانيا : هدف دنيوى يحث عليه الشرع ويأمر به لما فيه من صلاح الدين والدنيا مثل الالتزام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال بالفعل والقول والقيام بواجبات الفرد المختلفة في مجتمعه، والوصول إلى المناصب الاجتماعية العالية مثل التدريس والإفتاء والقضاء.

وقد اتجه الفقهاء والعلماء بالثقافة الإسلامية في السودان الغربي كله منذ البداية إلى إصلاح النفس البشرية المسلمة وإصلاح المجتمع الإسلامي وإعداد الفرد للقيام بواجبات الدعوة إلى الله والتعليم والتدريس .

---

(١) تاريخ السودان ص ٢٠ .

الكتب الدراسية
في معاهد الثقافة الإسلامية في كل من
تمبكت وغاو، وجني في عهد ازدهار العلم والإسلام في الدولتين
الإسلاميتين مللي وسنغاي

مما تقـدم عن الحـديث عن المراكز الثقافية وتراجم الفقهاء والعلماء الذين قاموا بحركة تعليمية نشطة في تلك المراكز يتضح لنا أن التعليم في مدن السودان الغربي عامة (افريقيا الغربية) وفي تمبكت خاصة حظي بعناية فائقة واعتبار كبير من السلطة الحاكمة في السودان ومن الشعب، نظرا لما يتيح لطالبه من مكانة مرموقة في المجتمع بعـد تحصيله من منـاصب عالية كالتـدريس والإفتـاء والقضاء، والإمامة. وأيضا لارتباطه بالمقومات الدينية، ولما كان يتمتع به المدرسون من الفقهاء والعلماء من تقدير وإجلال من الحكام، واحترام قد يصل إلى درجة تقديس من العامة، وقد سبق أن وضحنا أن تمبكت وجامعاتها حظيت بسمعة مدوية في العالم الإسلامي مثل السمعة نفسها التي حظيت بها فاس والقاهرة وتونس، كما بينا أن الطلبة كانوا يتوافدون عليها لأخذ العلم من علمائها من مراكش والجهات البعيدة في السودان من بلاد هوسا ومسينا وبلاد الفولبيه[1] . وكان أولئك الطلبة بعد المرحلة الأولية من الدراسة يدرسون أمهات الكتب على الأساتذة السودانيين المتضلعين في العلم، وقد يذهب عدد منهم إلى فاس أو مراكش أو تونس أو مصر أو الحجاز للاستزادة في العلم وحضور مجالس مشاهير العلماء في هذه البلاد .

---

(١) انظر تاريخ الفتاش للقاضي محمود كعت ص ١٧٩ـ١٨٠ وتاريخ السودان ص ٤٧ـ٤٨ تقدم بيان ذلك في الكلام على الثقافة والاسلام في تمبكت وعلمائها .

وكان أولئك الطلبة يجتهدون ويبذلون كل ما يملكون من طاقة للحصول على ثناء مكتوب أو إجازة علمية جزئية أو عامة من بعض شيوخهم لأن ذلك يفتح أمامهم أبواب التدريس وتولية بعض المناصب الدينية في بلادهم[1].

وكانت الكتب الدراسية المتداولة في المراكز العلمية في إفريقيا الغربية في ذلك العهد هي نفس الكتب الدراسية المعروفة في البلاد الإسلامية الأخرى، وخاصة المغرب والأندلس وتونس ومصر ومن أهم الكتب الدراسية في المراكز السودانية :- كما جاء في تراجم الفقهاء والعلماء المتقدمة كتب التفسير من أهمها الجلالين[2]، موطأ الإمام مالك في الحديث والفقه، صحيح البخاري، صحيح مسلم[3]، والشفاء للقاضي عياض في السيرة والشمائل[4]، ومدونة سحنون في فقه الإمام مالك، والرسالة في الفقه المالكي، ومختصر خليل والمنتقى للباجي شرح الموطأ[5]، ومختصر ابن الحاجب الفرعي في الفقه المالكي، ومختصر ابن الحاجب الأصلي في الأصول وتهذيب البراذعي في الفقه المالكي وتحفة الحكام لابن عاصم في الاحكام مع شرح ولده عليها، والمعيار المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي، والبيان والتحصيل لابن رشد، والقرطبية في الفقه، وجمع الجوامع في الفقه. والجامع الصغير في الحديث للسيوطي، وألفية العراقي في علوم الحديث مع شرحها[6]، والمنتقى والمدونة بشرح المحلى) وألفية ابن مالك في النحو وتلخيصها للسيوطي، والأجرومية وشرحها في النحو والبهجة المرضية في النحو، وجمع الجوامع في العربية وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد المشهور (بالتسهيل لابن مالك في النحو)، ومقامات الحريري في الأدب العربي وسيرة

(١) الفتاش ص ١٧٩-١٨٠ ونيل الابتهاج في ترجمة محمد بغيع ص ٣٤٢ وتقدم في ترجمتنا له من علماء تمبكت، وبداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٥٤٧ لمحمد العزبي .

(٢) السعدي ص ٣٣، ٤٦ وإيداع النسوخ الورقة ٦. لعبد الله فوديو.

(٣) نيل الابتهاج ص ٣٤١-٣٤٢ في ترجمة بغيع وتاريخ السودان ص ٤٣-٤٤-٤٦ .

(٤) نيل الابتهاج ص ٨٩ وفي مواضع أخرى وتاريخ السودان ص ٣١-٣٢ .

(٥) نيل الابتهاج ص ٣٤١-٣٤٢ وتاريخ السودان ص ٤٣-٤٤ .

(٦) النيل ص ٣٤١-٣٤٢ وتاريخ السودان ص ٤٥-٤٦ وص ٣٨.

ابن هشام والمدخل لابن حاجب ورجز المغيلي في المنطق وشرحه لأحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، وجميع مؤلفات المغيلي وعقائد السنوسي في التوحيد وهي ثلاث : العقيدة الكبرى والوسطى والصغرى والخزرجية في العروض بشرح الشريف، والدماميني. والعشرينيات (الفزازية) في المدائح النبوية، وألفية الأثر في الحديث، وشرح النقاية في الأصول، والبيان والتصوف، والكوكب الساطع في نجم جمع الجوامع، وهو في الأصول والبيان والتصوف، وشرح الكوكب الوقاد في الاعتقاد. وقطر الندى وبل الصدى في النحو. وحكم ابن عطاء الله مع شرح زروق عليه، ونظم أبي مقرعة والهاشمية في التنجيم مع شرحها، ومقدمة التاجوري[1]. وشرح المكودي على ألفية ابن مالك، والبسط والتعريف في علم التصريف للمكودي أيضا، ولامية ابن المجراد السلوى في الجمل، والمرشد المعين لابن عاشر الفاسي، ولامية الزقاق. والمنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق أيضا، والدر اللوامع في قراءة نافع لابن برى، وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة لأحمد المقرى. والطرفة في مصطلح الحديث لمحمد العربي الفاسى ونظم ابن مقرع في التوقيت، ونظم المقنع للمرغيشي، وشرح أبي الحسن الصغير للناس على المدونة، والمراصد في التوحيد لمحمد العربي الفاسي، ومنظومة الزكاة له. ونوازل عبد القادر الفاسى، ونظم العمل للفاسي وشرحه لولده أبي زيد. وتكميل المرام في شرح شواهد ابن هشام لمحمد بن عبد القادر الفاسى . . . وغيرها من المقررات الدراسية والمراجع عندهم[2] .

وهذه الكتب كانت تدرس في تمبكت خاصة وغيرها من المراكز التعليمية والثقافية في أفريقيا الغربية مع روايتهم لها بالسند والاعتماد والإجازة عن شيوخهم كما تقدم في

---

(١) انظر لما تقدم من هذه المقررات الدراسية في تلك البلاد في ذلك العهد تراجم الفقهاء الفقهاء والعلماء المتقدمة أو المراجع التالية : نيل الابتهاج ص ٩٣ وص ٣٣١ , ٣٤٠ و ٣٤١-٣٤٢، وتاريخ السودان ص ٢٩-٣٠ ٣١-٣٣ ٣٧-٣٨ ٤٢-٤٣ ٤٥-٤٦-٤٧ وما بعد هذه الصفحات وتاريخ الفتاش ص ٩٤ وفتح الشكور ص ١٠-١١-١٢ ومن ص ٢٦ إلى ص ٣٦ وما بعدها .

(٢) انظر فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص ١٠ , ١١ والمراجع السابقة .

تراجم كثير من العلماء والفقهاء السودانيين وهذه المواد الدراسية في المراكز الثقافية السودانية تدل على المستوى الرفيع الذي وصل إليه فقهاء وعلماء غربي افريقيا من العلم والثقافة. بل وقد رأينا في التراجم السابقة أنهم فوق دراستهم لهذه الكتب وروايتهم لها بالسند والاعتماد والإجازة قد وضعوا الشروح والحواشي والتعاليق على بعضها، واختصروا بعضها [1].

وأما في ميدان دراسة الشعر العربي فقد ذكرت بعض المصادر أن الطلاب كانوا يدرسون شعر ابن دريد [2]. وأشعار الشعراء الستة [3]. بجانب شعر المدائح النبوية [4] وكان الفقهاء والعلماء في عهد ازدهار الثقافة الإسلامية في السنغاي يستشهدون كثيرا بأشعار شعراء العرب وكتاباتهم، فعبد الرحمن السعدي يصف تمبكت بأنها تشبه في روعتها وجمالها ما كان قد شبه به الهمذاني البصرة في مقاماته [5]. ويستشهد الشيخ أحمد بابا في كتابه (الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان). أو (معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السودان) يستشهد على موضوع السواد في لون البشرة لدى الإنسان، ثم يورد رجز أبي علي ابن سينا الذي لخص فيه رأيه في نفس الموضوع بقوله:

حر غير الأجسادا ... حتى كسا جلودها سوادا
والملغب اكتسبه بياضا ... حتى غدت جلودها فضاضا [6]

وهذا دليل على أن أولئك العلماء كانوا مطلعين اطلاعا تاما على الأشعار العربية

---

(١) نيل الابتهاج ترجمة أحمد بن أحمد بن عمر أقيت ص ٩٣ وترجمة محمد بن محمود الونكري ص ٣٤١-٣٤٢ وترجمة غيرهما من التراجم المتقدمة من علماء السودان. وانظر تاريخ السودان ٤٢-٤٣-٤٤-٤٥ وفتح الشكور ص ١١ وص ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣ ٣٤، ٤٥ وما بعدها.

(٢) اريخ الفتاش ص ١٨٢.

(٣) ايداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ لعبد الله فوديو ورقة ٣٧ مخطوط.

(٤) تاريخ السودان ص ٣١ وص ٤٢-٤٣.

(٥) المرجع السابق ومملكة سنغاي في عهد الاسكيين ص ١٥٥.

(٦) الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان ورقة ١٩-٢٣ مخطوط بمركز أحمد بابا بتمبكت في جمهورية مالي ومملكة سنغاي ص١٥٦.

والكتابات المنمقة لدى الهمذاني والحريري وغيرهما من الكتاب والشعراء والأدباء، ويلاحظ أنه ليس في السودان الغربي شعراء مستقلون يقرضون الشعر العربي كما في المشرق الإسلامي والأندلس. وإنما كان العلماء والفقهاء هم الذين يقومون بدور الشعراء لأنهم هم الذين أجادوا اللغة العربية وتذوقوا سحرها وبلاغتها وأسرارها واتخذوها أداة للتعبير عن مشاعرهم وما يجيش في صدورهم من معاني[1] .

وبهذا العرض البياني للمقررات الدراسية من الكتب الثقافية والعلمية والدور الذي قام به علماء السودان في مراكز الدراسة والعلم في كل من غاو وتمبكت وجنى وغيرها نصل إلى النتيجة التالية :

أ ـ أن المواد الدراسية التي كانت تدرس في مراكز الثقافة بالسودان الغربي: هي العلوم الدينية ومعها بعض العلوم المساعدة لها مثل النحو والصرف والبلاغة والأدب العربي، والمنطق، وشيء من الفلسفة.

ب ـ أن نظام التعليم في تلك المراكز الثقافية لم يكن شاملا لكتب التاريخ كلها وأحوال الأمم والمجتمعات الإنسانية وتقويم البلدان .

جـ ـ أن النظام الدراسي لم يكن شاملا للعلوم التجريبية التي كانت مزدهرة في العصور الإسلامية السابقة التي أخذتها أوروبا النصرانية عن المسلمين، وكان أساس نهضتها الحديثة .

وكانت المواد العلمية والاجتماعية مع الجانب الأدبي تنقص النظام التعليمي في المعاهد والجامعات في السودان الغربي في ذلك العهد، وهذا النقص الذي كان سائداً في النظام التعليمي في عصر ازدهار الثقافة الإسلامية في افريقيا الغربية قبل وصول الاستعمار مما أفسح المجال أمام الاستعمار الأوروبي بعد وصوله للمنافسة القوية من جانب التعليم الاستعماري .

---

(١) ويلاحظ أن أبواب الشعر التي طرقها علماء السودان لاتتجاوز: الثناء على الله، والمديح، والوصف، والرثاء، والوعظ والارشاد، والحكم، والامثال والفكاهة والزهد، وطلب العلم. وقد أورد صاحب كتاب الثقافة العربية في نيجيريا أبيات كثيرة لهذه الاغراض، وكذلك فعل أدم الالوري في تاريخ نيجيريا أورد بعض الآبيات في الزهد وطلب العلم ولكن تلك الاشعار كانت لعلماء سودانيين متأخرين في عصر عثمان بن فودي ومن بعده من العلماء والكتاب .

والضعف العلمي في هذا الجـانب كان سائدا في العالم الإسلامي كله في ذلك العصر مما ساعد الاستعمار في السيطرة على العالم الإسلامي بسبب تفوقه في الجانب العلمي الذي أهمله المسلمون بعد أن كان لهم قدم السبق فيه .

ما تقدم إيضاحه من الحركة الثقافية ودور الفقهاء والعلماء السودانيين فيها يتعلق بعهد الحكومات السودانية التي قامت في افريقية الغربية من القرن الرابع الهجري حتى مطلع القرن الحادي عشر الهجري عند سقوط الامبراطورية سنغاي الإسلامية نهائيا تحت ضربات جيوش الدولة السعدية بمراكش، وقد اتضح مما تقدم بيانه : أن عهـد مملكة سنغي تحت حكم آل أسكيا هو العهد الذي تميز بكونه يمثل فترة من النضج الثقافي والحضاري لم يسبق لها مثيل في تاريخ السودان الغربي كله . وكان آل أسكيا أول حكام في السودان الغربي نظموا دولة على أساس وطني لا على أساس قبلي، وبنـوا قواعـد دولتهم على أسس إسـلامية واستمـدوا قوانينهـا من أحكام الشريعة الإسلامية، ونبذوا المفهوم القبلي الضيق الذي ظل يفت في عضد الدول التي سبقتهم في المنـطقة، وبلغت مدينة تمبكت ومدينة جني في عهدهم قمة الاتساع والازدهار الثقـافي والعلمي والتجـاري وتمتـع سكانها بقدر كبير من الرفاهية . وكانت أرض السودان عموما من أعظم أرض الله تعالى نعمة ورفاهية وأمنا واستقرارا وعافية في كل جهـة ومكـان . وانتشرت فيهـا المسـاجـد ومعاهد العلم ومكتباته، وعمت الثقافة الإسلامية ربوع البلاد ولمع كثير من علماء السودان في شتى العلوم والمعارف وقد تقدم توضيح ذلك بكلام ابن بطوطة والحسن الوزان والسعدي في تاريخه .

قائمة المصادر والمراجع الواردة في هذا البحث

أولاً : المصادر والمراجع السودانية :

١ ـ تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس .
للقاضي الفع محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت . والمتوفي سنة ٩٥٨هـ الموافق ١٥٥٢م الطبعة الأولى . طبعة هو داس باريس .

٢ ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج . للشيخ أحمد بابا التمبكتي المتوفي سنة ١٠٣٢هـ . والكتاب مطبوع على هامش الدبياج المذهب في معرفة أعيان المذهب . دار الكتب العلمية ـ ببيروت .

٣ ـ كفاية المحتاج لمن ليس في الديباج لأحمد بابا . مخطوط .

٤ ـ الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان لأحمد بابا . مخطوط بمركز أحمد للتراث الإسلامي . بمدينة تمبكت .

٥ ـ تاريخ السودان للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السعدي التمبكتي المتوفي سنة ١٠٦٦هـ الموافق ١٦٥٥م .

٦ ـ تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمؤلف سوداني تمبكتي . لم يذكر اسمه . أو غفلة من النساخ الذين نسخوا الكتاب والكتاب يبدأ من تاريخ بداية الحكم المغربي في السودان .

٧ ـ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور . لمحمد أبي بكر البرتلي الولاتي المتوفي سنة ١٢١٩هـ .

٨ ـ إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ لعبد الله فوديو .

٩ ـ الثقافة العربية في نيجيريا . لعلي أبو بكر النيجيري . الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م .

١٠ ـ تاريخ التعليم الإسلامي في معاهد غرب افريقيا من القرن الثامن حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري . لمهدى رزق الله محمد السوداني .

١١ ـ الوثائق السودانية في كل من مركز أحمد بابا في تمبكت ومركز المخطوطات العربية والتراث الإسلامي في نيامي ـ جمهورية. النيجر ووثائق أخرى في المراكز الإسلامية في نيجيريا والسنغال .

ثانيا :ـ المصادر والمراجع غير السودانية :

١٢ ـ الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى لأحمد الناصرى .
١٣ ـ مناهل الصفا في أخبار ملوك الشرفاء، لعبد العزيز بن محمد القشتالي المتوفي سنة ١٠٣١هـ. نشر جامعة الرباط .
١٤ ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد مخلوف .
١٥ ـ رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غراب الأمصار وعجائب الأسفار .
١٦ ـ وصف إفريقيا للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي المتوفي سنة ٩٤٤ .
١٧ ـ مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين لعبد القادر زبادية .
١٨ ـ بداية الحكم المغربي في السودان الغربي. لمحمد الغربي .
١٩ ـ دولة مالي الإسلامية لابراهيم طرخان .
٢٠ ـ إمبراطورية غانة الإسلامية. طرخان .
٢١ ـ حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية لنعيم قداح .
٢٢ ـ الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا. لعبد الرحمن زكى .
٢٣ ـ أعالي السنغال والنيجر. لدولافوس .
٢٤ ـ الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا لأحمد محمد كاني. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ .
٢٥ ـ التأثير الإسلامي في السودان الغربي لمحمد النقيرة. الطبعة الأولى .
٢٦ ـ العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى وإمبراطورية سنغاي بغربي أفريقيا في القرن العاشر الهجري. للنقيرة .
٢٧ ـ إفريقيا من السنغال إلى نهر جيبا. لمحمد عبد الفتاح إبراهيم .
٢٨ ـ الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني. لحسن عبد الظاهر الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.

٢٩ ـ العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي . لأمين عوض الله .
٣٠ ـ المغـرب والسودان أيام المنصور الذهبي . كتاب العيد . الجامعة الأمريكية . بيروت سنة ١٩٦٧م . لنقولا زيادة .
٣١ ـ انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى . لحسن ابراهيم حسن .